
محافظة ادلب
١٣
بوابة الحضارة السورية
شهبا
«في التاريخ الأثري»
المؤرخ
فايز قوصرة
النسخة الالكترونية
١٤٤٠هـ / ٢٠١٩م

الإهداء

لايسعني..

إلا القول بأن (الدكتور خالد كيوان) ابن محافظة السويداء معترفاً بأنه في بحوثه عن(المسكوكات) قد تفوق على الأجانب في بحوثهم ..

بل أقول هو(مؤسس هذا العلم في سورية).

تحية له ،وبوركت جهوده ..

ولعلي أقدم له هذا الإهداء اعترافاً بفضله

تقديم الكتاب

لَعَلَّهُ بتدبيرِ إلَـهي غير مُعْلَنِ وغيرِ مُدْرَكٍ وغيرِ محسوس أن تَزَامَنَ طَلَبُ أخي الصديق الباحث السوري الدؤوب الأستاذ فايز قوصرة مني أن أضع هذه المقدّمة (التقديم) لكتابه "شهبا في التاريخ الأثري"، أقول أنْ تزامَنَ طَلَبُهُ تماماً مع يوم أول ظهورِ لي على النطاق العالمي لإحدى أحدث إنجازاتي في ميدان علم الإپيغرافيا؟؟؟!!!...

كان ذلك في الأول من نيسان للعام ٢٠١٩ حين ظَهَرَتْ على الغلاف الرئيس لمجلة المركز الكَنَدِيِّ للوثائق الإپيغرافية Journal of the Canadian Centre for Epigraphic Documents (JCCED) التابع لجامعة تورونتو العالمية إحدى إسهاماتي في علم الإپيغرافيا. فالجزء هو واحدٌ من الكلّ التكاملي في عالم المعرفة التخصصية. والأستاذ فايز ذو الباع الكبير في الشأن الآثاري السوري يُسَلِّط أضواءً مبهرة حقاً على مدينة فيليپ السوري العربي تُظهِرُ أدق تفاصيل آثار هذه الحاضرة السورية العظيمة التي تقول للعالَم، من جملة ما تقوله باقي حواضرنا العظيمة كأفاميا وأنطاكيا وتدمر ودمشق ومدننا الأثرية المسماة بالمنسية في محيط إدلب والشمال السوري وسواها...

تقول إننا لم نستورد الثقافة الإغريقية الرومانية مجرد استيراد، بل كنا فاعلين فيها ومؤثِّرين جدّاً لدرجة أن الشاعر التهكمي الساخر جوڤينال حَذَّرَ الرومان في أهكومته الثالثة (الفقرة ٦٢) بقوله الشهير: Iam pridem Syrus in Tiberim defluxit Orontes et linguam et mores et cum tibicine chordas أي " لقد بات العاصي السوري يصُبُّ في التيبر منذ أمدٍ طويل ومعه لغته وعاداته وأناشيده وأوتاره".....

وليس أپولّوذوروس الدمشقي وعمالِقَة المدرسة الأفاميّة للفِكر الفلسفي پوسيذونيوس المؤَرِّخ وأميليوس ويامبليخوس وپورفيريوس ونيومينيوس (نَعْمَعين)...

وليس زينون الصيدوني مؤسِّس المدرسة الرواقية بالفلسفة إلاّ أشهر الأمثلة على الحضور السوري الفاعل...

ناهيكُم عن الأباطرة الأربعة الذين حكموا روما وأمهاتهم السوريّات .... وعن فيليپ العربي بطل شهبا.

في كتابِهِ، لا يُغْفِلُ الأستاذ قوصرة هذه النقطة المفصلية في تاريخنا الحضاري السوري ويوليها أهمية خاصة.

أنصحُ كل من لا يعرف عن شهبانا العظيمة شيئاً أو يعرف القليل أو إنه لم يسمع بها من أساسِها، أو لمن يعرف ويريد الاستزادة والتعمق فيها أن يقتني كتابه النفيس هذا لأنه أكثر من كافٍ لإحاطته علماً بأدق تفاصيل آثار المدينة الباقية: الكاليبه Καλύβη، الفيليپّيون، المدرسة، الأوذيون Odeon (مسرح الاستماع الموسيقي) البوابات، الكاردو، الذيكومانوس، الحمامات، وبيت أو منزول الإمبراطور فيليپ العربي الذي تحول إلى متحف بفسيفساءاتِهِ الرائعـــــة والفسيفساءات الرائعة إياها أيضاً إلخ....

ولكن، وقبل كل شيء تعريفه بفيليپ العربي مؤسس مدينته السورية شهبا. وليس لي أن أختتم تقديمي هذا إلا بالقول إن الأستاذ قوصرة أضاف كتاباً هاماً رافداً لموسوعتنا الحضارية السورية.

ملاتيوس جغنون،

متخصص في علم الإپيغرافيا (أو قراءة النقوش القديمة)، مونتريال، كندا، الرابع عشر من أيار عام ٢٠١٩.

المقدمة

حين بدأت أهتم بلوحات الفسيفساء في كل من متحف أنطاكية، ومتحف معرة النعمان، اضطررت للعودة إلى لوحات الجنوب السوري، وأفاميا، كون المدرسة الثقافية هي واحدة عند الجميع٠٠ إنني من أشد المعجبين بلوحات شهبا بعد لوحات فسيفساء متحف انطاكيا ،وتراثها الموزع في العالم – وهذا ما سنعمل على إظهاره في كتاب مستقل – هو أحد الدوافع التي شدتني إلى عرضها في كتابنا هذا لنؤكد على الدور الحضاري لأبناء المنطقة، وعهد فيليب العربي الذي ترقى اللوحات إلى عهده

درست لوحات شهبا على الأخص، فقلت: ليكن مشروعاً لكم في إعداد كتاب(شهبا في التاريخ الأثري) يضاف إلى المكتبة العربية، التي تفتقد إلى مثل هذه الدراسات، وليكتمل مشروع الثقافة المشتركة بين الشمال، والجنوب السوري. يضاف كلبنة في توضيح آثارنا، والربط بين التاريخ، والآثار كلوحة واحدة!

كما نقر بأن الدكتور خليل المقداد قد أسس لنا دراسة الفسيفساء السورية بعد جانين بالتي في كتابه

(قصة الفسيفساء السورية ،والمعتقدات الدينية)

ونحن نحاول المساهمة معهم ،لنؤكد على التمازج الحضاري بين الشمال والجنوب السوري

فايز قوصرة -إدلب –نيسان- ٢٠١٩م

الفصل الأول

متحف شهبا

في عام ١٩٦٢ قامت المديرية العامة للآثار والمتاحف في سورية بالتنقيب في الخرائب الواقعة بالقرب من حمامات الشهبا الكبيرة. وقد اكتشف في الموقع فيلا تتكون من ٢٨ غرفة، احتفظ بعضها ببلاطه الفاخر من الفسيفساء، ولكي تحفظ هذه الألواح في مكانها، قررت المديرية العامة للآثار إعادة بناء الجناح الذي كان يأويها وتحويله إلى متحف اقليمي.

في بداية الستينات وأثناء عمليات تنقيب عن الأثار تم الكشف عن شارع يمر أمام الحمام وحتى الدارة الرومانية (متحف شهبا) بعرض ٦,٥م ، وله رصيف بعرض ١,٤٥م. مفروش بالبلاط الحجري ، يجاوره غرف سقوفها قائمة على أقواس . وفي وهذا البناء التاريخي وجدت مجموعة من المكتشفافات الأثرية الهامة ولوحات فسيفساء من أجمل لوحات الفسيفساء على مستوى العالم، يحتوى البناء على ٢٨ غرفة وقاعة، وللمحافظة على هذه اللوحات في مكانها الاصلي وبنفس الروعة قررت المديرية العامة للآثار والمتاحف السورية في عام ١٩٦٢ م بناءالدارة الرومانية التي حولت إلى متحف شهبا فكانت مفروشة بالفسيفساء . في الأولى تلاسا ربة الدجر، وفي الثانية الفصول الأربعة وأعطيات الأرض ، وفي الثالثة أسطورة أورفى وفي الرابعة ولادة فينوس ربة الجمال . مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية مجلد ١/٣٣ مقال لغالب عامر



الصورة متحف شهبا١٩٦٢م

ولما كانت هذه اللوحات الفسيفسائية من أجمل وأروع ما اكتشف من هذا الفن في العالم وأندره مثالاً وعلى غاية كبيرة من الاتقان الفني والدقة في الصنع وتبرز مدى مهارة الفنان والصانع العربي في ذلك العصر فقد اختارت المديرية العامة للآثار والمتاحف أن تبقي هذه التحف الفريدة في مكانها الأصلي وأعادت بناء الجناح الذي يحتوي على هذه القطع وجعلته متحفاً للفسيفساء، بحيث أصبح المتحف الفريد من نوعه ويختص بهذا النوع النادر الجميل. أما الفسيفساء المكتشفة فكل لوحة منها ترمز إلى أسطورة من الأساطير اليونانية القديمة ستجدون وصفاً مختصراً لها فيما يلي:

عندما يدخل الزائر إلى البهو الرئيسي يشاهد لوحة معلقة في الجدار الجنوبي أبعادها٢,٧٠ × ١,٩٧م ترمز إلى باخوس إله الخمر يحمل بيده إناء الخمر، وهذه اللوحة نقلت إلى المتحف من مكان آخر في شهبا بعد أن تم ترميمها في دمشق. كما يشاهد عدة أجزاء متنوعة من الفسيفساء منها ما اكتشف في أرض الكنيسة الأثرية الصغرى في السويداء ومنها ما اكتشف في أماكن أخرى من شهبا ونقلت لتحفظ في المتحف.

يصعد الزائر بدرج صغير في الجهة الشمالية من البهو الرئيسي ليدخل الغرف الأربع المفروشة أرضها بالفسيفساء المكتشفة والمحفوظة في مكانها الأصلي الذي اكتشفت فيه.

الغرفة الأولى: مربعة أبعادها ٤,٥٠ × ٤,٥٠ م وفيها فسيفساء (ثالاسا) أو ربة البحر في الوسط يزين رأسها فوق الجبين حيوان بحري على شكل نجمة البحر ، ويحيط بعنقها تنين البحر وتسبح حول شعرها أسماك ، كما يحيط بها إطار يحوي على تسعة أشخاص يمتطون القوارب والدلافين وعلى يسارها مجداف قارب

الغرفة الثانية: تلي الأولى من الشرق أبعادها ٤,٨٠ × ٤,٦٣م وفيها لوحة تمثل عرس ديونيسيوس و أريان و الفصول الأربعة وعطايا الأرض. في الوسط مربع مزين برسوم وأريان ربة النبات ونديمه ديونيسيوس إله الخمر وبوثوس وهرقل إله القوة ويرتمي عند أقدام الإله ويرفع يده مستغيثاًوكأنه ثملاً. يحيط بهذا المربع إطار جميل مزين بحيوانات مختلفة وأشخاص بأوضاع تأهب للصيد وتحيط بها تزيينات نباتية وفي زواياها الأربع أربعة وجوه بشرية يمثل كل منها فصلاً من فصول السنة الأربعة: الربيع والصيف والخريف والشتاء وتقاسيم كل وجه تشير إلى الفصل الذي يرمز إليه فمثلاً الربيع يمثله وجه شاب نضر بينما الشتاء يمثله وجه كهل ملتح وهكذا....وتاريخها ٢٤٤-٢٤٩م

الغرفة الثالثة: تلي الثانية من الشرق أبعادها ٤,٧٠ × ٤,٦٣م وتحتوي على لوحة أورفيوس عازف القيثارة الأسطوري الشهير وهو ابن أبولون وحفيد زفس (زيوس) وهو أشهر موسيقار يعزف على قيثارته وتحيط به الحيوانات والطيور والأفاعي ومنها حيوانات أسطورية وجميعها تترنم تجاوباً مع ألحانه الشجية ولهذه اللوحة إطار جميل مزين بأشكال هندسية متنوعة يتخللها عشرون رأساً من رؤوس دافعات الشر.

الغرفة الرابعة: تجاور الثالثة من الشمال أبعادها ٥,١٥ × ٤,٦٥ م وتحتوي على لوحة ولادة أفروذيتي (أفروديت أو فينوس) ربة الجمال وهي تخرج من صدفة يقذفها زبد البحر على شاطئ قبرص تحملها الحوريات. وهذه اللوحة من أجمل ما عثر عليه من الفسيفساء خاصة وأن الأشخاص المرسومة حول ربة الجمال بأوضاع

مختلفة وأزياء متنوعة وتسريحات للشعر جميلة ومنها آريس رب الأساطير اليونانية يحمل الحربة وإبريبيا مدثرة بالتونيك وغيرها. كل هذا يعطي هذه اللوحة جمالاً متفرداً وميزة نادرة.

في الزاوية الغربية الشمالية عرضت لوحة لم تكن أصلاً في هذا المكان أي أنها دخيلة على الدارة ولكنها كانت قد وجدت في شهبا ووضعت في هذا المكان بعد أن تم ترميمها في المعمل الفني في مديرية الآثار والمتاحف بدمشق ،وهي تصور النعم الثلاث ممثلة بثلاث نساء في وضع استعراضي عارٍ في أعلاها ثلاثة مربعات يحتوي كل مربع على وجه إنسان وفي أسفلها ثلاثة مربعات في كل منها وجه إنسان أيضاً.

بنتيجة أعمال التنقيب التي نفذت في حمامات شهبا الأثرية الكبرى عثر على تمثال محطم من الرخام وبعد ترميم الرأس تبين أنه إنما يمثل **رأس امبراطورنا فيليبوس العربي**. وقد حفظ في المتحف على قاعدة خشبية في الجهة الشرقية من غرف الفسيفساء.



رأس تمثال فيليب العربي–متحف شهبا

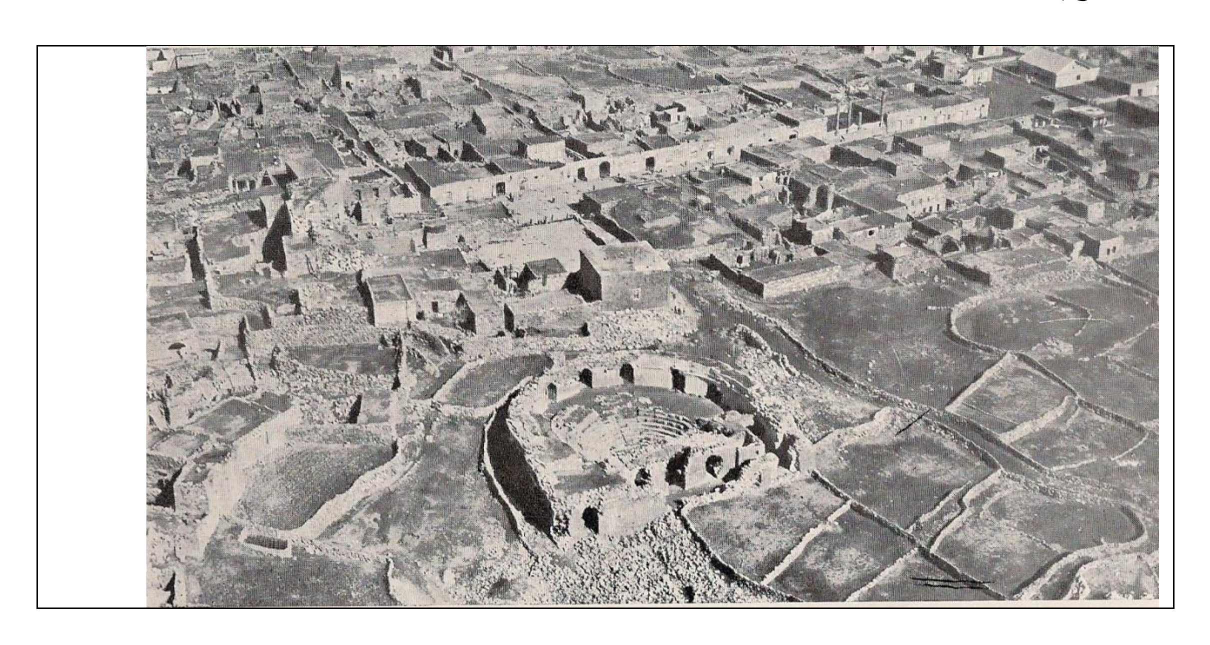
وقد تم العثور أثناء أعمال التنقيب على تمثالين يمثلان الامبراطور فيليب العربي وزوجته، ورأس تمثال الامبراطور معروض حالياً في متحف شهبا.

الفصل الثانـي

البلدة ،وآثارها

شهبا (شحبة قديماً) (فيليبوبوليس)

١-الموقع، و التسمية : تقع جنوب دمشق بـ ٩٠كم في محافظة السويداء وهي مركز منطقة في منطقة صخرية بركانية، وترتفع ١٢٠٠م وتبتعد عن مدينة السويداء شمالاً بـ ١٨كم، وهي في منطقة حوران بين أراضي منطقة البثنية شرقاً، واللجا غرباً، وهناك طريق عتيق من بصرى –صلخد ،وبصرى- شهبا ماراً بالسويداء.



شهبا - صورة جوية قديمة

إن الشهبا هي فيليبوبوليس Philipopolis القديمة، التي أسسها الامبراطور فيليب العربي في عام ٢٤٤ م والذي يعود بأصله إلى المنطقة. فإن كان الاسم السابق للمدينة غير معروف، فمن المحتمل أن الاسم الحالي للشهبا بحفظ ذكراه، كما هي الحال بالنسبة لسائر قرى المنطقة تقريباً..فهناك نقوش كتابية يونانية تعود للقرن الرابع قبل الميلاد تذكر قرية بوريكة (غرب الشهبا). قد ذكرت في القرن الرابع تحت اسم Bozecaq Sabawn، إن هذا الذكر للسبئيين يمكن أن يكون متعلقاً بالشهبا أكثر من علاقته بهجرة القبائل اليمنية. في الواقع، إن كتابة الاسم بالطريقة اليونانية يجب أن يعطي شكل Sabs، ويذكر أن هذا الموقع كان مسكوناً من قبل قبيلة (الشهابية) العربية التي تنتمي إلى عشيرة قريش والتي كانت تحكم حوران أثناء القرن الثالث عشر الميلادي، ثم توجهت إلى وادي (التيم) في لبنان، لتؤسس حكم بني شهاب (اسم يطلق على أمراء هذه القبيلة).

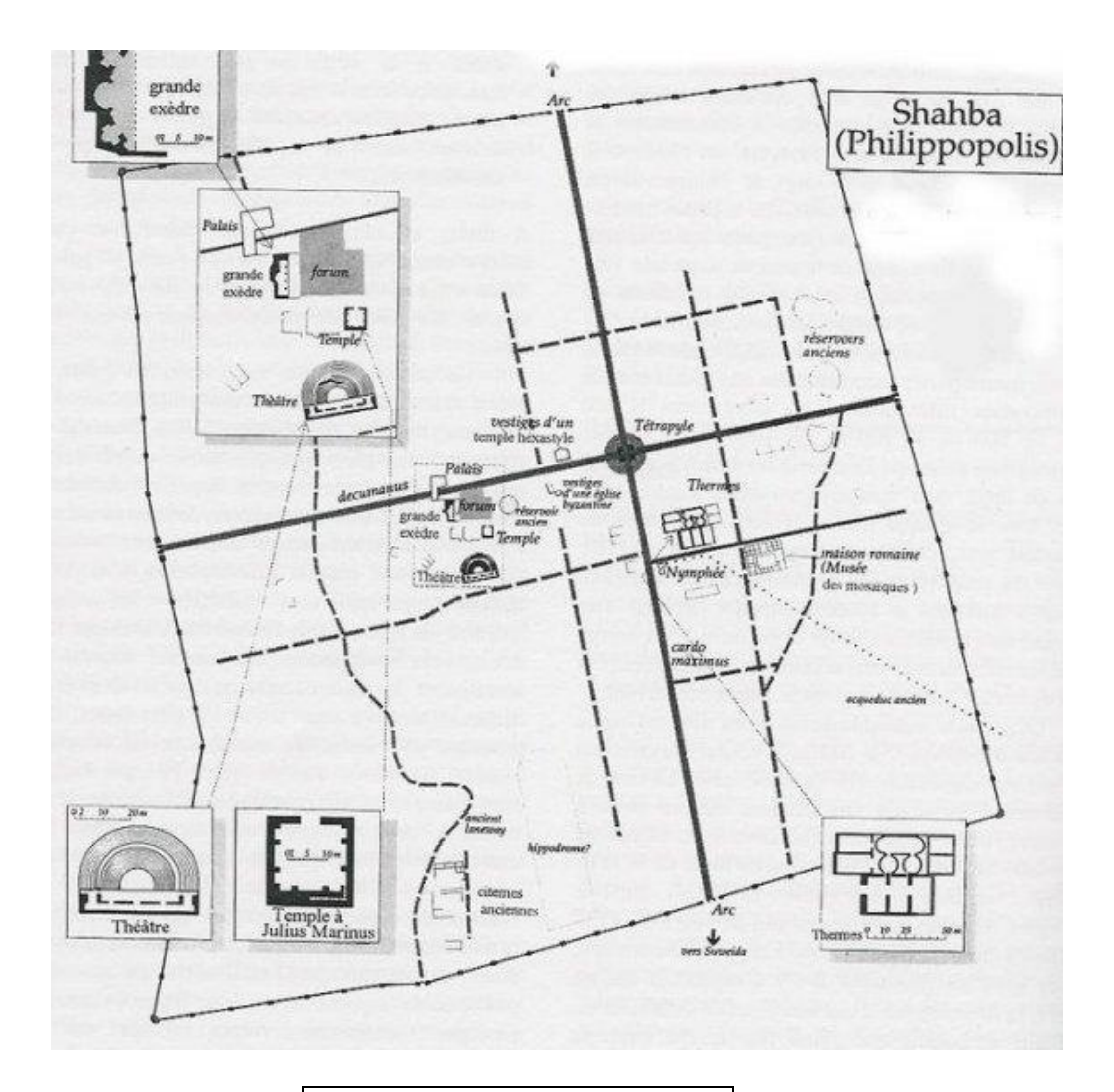
٢-موجز تاريخها: قطنها الأنباط بعد تحريرهم الجبل من حكم السلوقيين عام ٨٨ ق.م.. ولم يعثر بعد على آثار من العصر السلوقي، بل هي قد ازدهرت في عهد فيليب العربي باعتبارها موطن رأسه، ووجود والده فيها وعائلته، أرادها مدينة تضاهي روما –بعض الشيء- وجعل منها روما المصغرة في الشكل داخل محيط عربي باعتبار هذه المنطقة قد كانت إحدى الولايات العربية والمشهورة بالعديد من المدن: أذرعات (درعا) والسويداء التي ألحقت بالكورة العربية أيام الامبراطور سيفيروس . يمكن القول إن شهبا قد ظهرت كمدينة مشهورة في مدن العالم تاريخياً وأثرياً في

عهده، ولعل النقود المضروبة في عهده وتلك الآثار الباقية خير دليل على ذلك، وكان لها تقويم خاص بها يبدأ عام ٢٤٨م.

وهي تحمل كل صفات المدينة الرومانية .

تعتبر الشهبا أحد الأمثلة القليلة عن مدن الشرق الأوسط المنظمة بحسب مخطط عمراني روماني نموذجي: فالشارعان الشمالي والجنوبي (كاردو) والشرقي الغربي (ديكومانوس) يتقاطعان بزاوية عمودية، وتتميز نقطة لقائهما بتترابيل محاط بساحة بيضوية الشكل. والمدينة محمية بسور مستطيل، ويعود تاريخ معظم الصروح إلى القرن الثالث بعد الميلاد.

وتمتد آثار المدينة القديمة المتهدمة على منحدر الكراتر وتغطي أعاليه. إن انتظام مخططها العمراني، واتجاه السور والشوارع الرئيسية التي تتقاطع وتعبره من طرف إلى آخر، تشير كلها إلى أن المدينة قد عرفت ازدهاراً لامعاً، بالإضافة إلى أن عمرانها مستعد لتوسعها.



مخطط لآثار شهبا

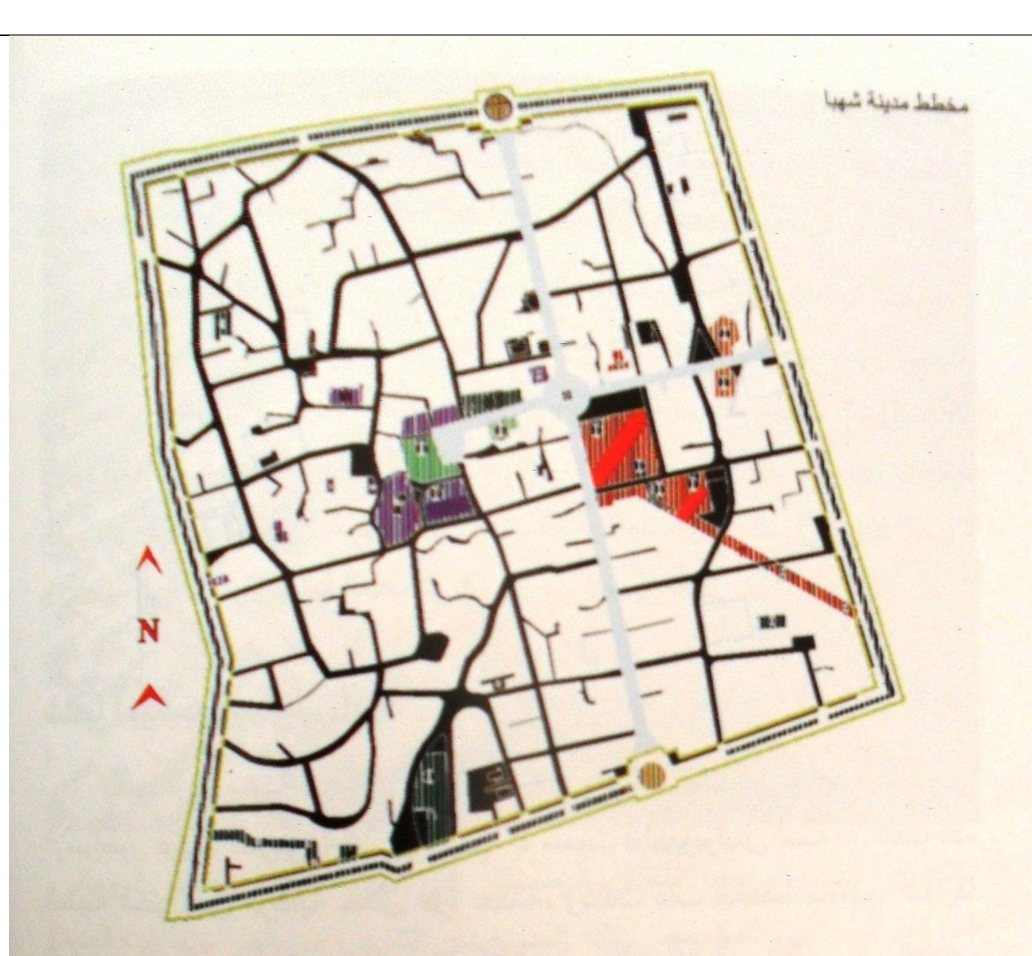
((قام هوارد بطلر في بداية القرن العشرين بدراسة تفصيلية لهذه المدينة، وقد ترك مخططاً عمرانياً لها موضحاً تواجد وانتشار عدد من المباني الأثرية المعروفة آنذاك، ومن ثم قام .أسيغال في الثمانينات من القرن العشرين بإعداد مخطط جديد لهذه المدينة مضيفاً عناصر جديدة إلى المخطط القديم أخيراً قامت نهى دروس بالاستفادة من المخططات القديمة ومن الصور الجوية والخرائط الطبوغرافية بالإضافة إلى التقارير الأثرية للتنقيبات الجديدة بإعداد مخطط جديد للمدينة يتضمن مجموعة جديدة من المعطيات، منها

الآثار التي تمت دراستها من قبل هوارد بطلر في بداية القرن العشرين من الأسوار وأبراجها، الحمامات، المسرح، الكنيسة، المعبد الإمبراطوري، المصلبة، المقبرة في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، بركتين قديمتين، كما يتضمن المخطط الجديد معلومات جديدة عن مبانٍ تم الكشف عنها لاحقاً من قبل البعثة الأثرية الوطنية منها الدار الرومانية التي تتضمن مجموعة من اللوحات الفسيفسائية، شارع قديم محاط بالأروقة، معبد حوريات الماء، بالإضافة إلى ذلك تمت إضافة مجموعة من المباني لا زالت وظائفها غير معروفة. بالرغم من حالة الحفظ السيئة للأسوار، فإنه من السهل تتبع شكل المدينة الذي جاء وفق مخطط شبه مربع، يبلغ سماكة سورها حوالي ٨٠ ،٣م، حيث يوجد بين كل٣٠أو ٤٠ متراً برج مربع يبلغ طول ضلعه حوالي ٥٠ ،٧ م. أما من الداخل فإننا نلاحظ بوضوح الشارعين الرئيسين المتقاطعين، ومن السهل التعرف إلى عرض الشارع الممتد من الشرق إلى الغرب أو ما يعرف بالديكومانوس،ويقدر بحوالي ١٥م في الجهة الغربية من المدينة بدون الأروقة، أما الكاردو فيمكن تقديره بمقياس مشابه للديكومانوس، وذلك بالاعتماد على عرض الأبواب الرئيسة للمدينة التي تتألف من أربعة أبواب، يقع كل باب في منتصف جدار السور من كل جهة، وتنفتح على الشارعين الرئيسين المتقاطعين، وقد تمت دراسة مقاسات الأروقة والمحلات على طرفيهما، مما أمكن تقدير عرض الشارع بحوالي ٢٥م متضمناً الشارع والأروقة والمحلات. أما المباني داخل المدينة فقد توزعت على الشكل التالي: المسرح الواقع في الجهة الجنوبية من الديكومانوس، أما الحمامات فتقع في وسط المدينة بجوار المصلبة، في الزاوية الجنوبية الغربية منها، ويقع بجوارها معبد حوريات الماء، أما

المقبرة فتقع في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، إضافة إلى مبان أخرى متوزعة في مواضع مختلفة من المدينة.

تلقت المدينة الكثير من الرعاية بعد وصول الإمبراطور فيليب إلى عرش الإمبراطورية، ولكن لم تدم بعد وفاته، فتوقفت المشاريع المعمارية لتعيش المدينة نوعاً من الركود في نهاية القرن الثالث، ولاننسى الظروف التي مرت بها سورية كالأزمات الا قتصادية وحروبها مع الساسانيين، كل هذا كان له الدور السلبي على استمرار ازدهار المدينة ونموها.))

من كتاب آثار بلاد الشام خلال العصور الكلاسيكية تأليف مأمون عبد الكريم(ص٥٣)



مخطط جديد للمدينة[34] يتضمن مجموعة جديدة من المعطيات، منها الآثار التي تمت دراستها من قبل هوارد بتلر في بداية القرن العشرين من الأسوار وأبراجها، الحمامات، المسرح، الكنيسة، المعبد الإمبراطوري، المصلبة، المقبرة في الجهة الشمالية الغربية من المدينة، بركتين قديمتين، كما يتضمن المخطط الجديد معلومات جديدة عن مبانٍ تم الكشف عنها لاحقاً من قبل البعثة الأثرية الوطنية منها الدار الرومانية التي تتضمن مجموعة من اللوحات الفسيفسائية، شارع قديم محاط بالأروقة، معبد حوريات الماء، بالإضافة إلى ذلك تمت إضافة مجموعة من المباني لا زالت وظائفها غير معروفة.

بالرغم من حالة الحفظ السيئة للأسوار، فإنه من السهل تتبع شكل المدينة

34- N.DARROUS, Chahba-Philippopolis (Hauran): Essai de Synthèse archéologiques et historique, Syria, 81. 2004, p.5-42.

54

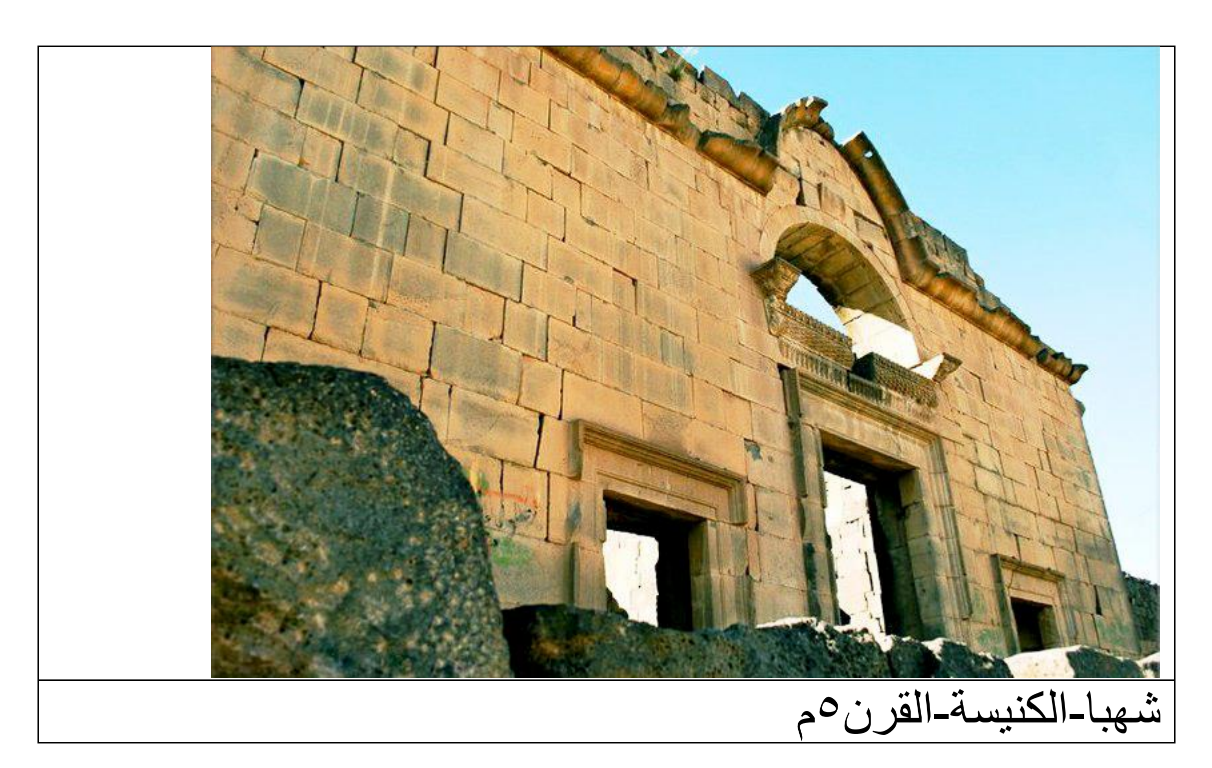
مخطط جديد للمدينة

وككل حاضرة يونانية-رومانية، كان يدير الشهبا أعضاء من مجلس الشيوخ كانوا يشكلون المشيخة المحلية، ومجلس الشيوخ وأعيان البلدة، وبرويدروس Proedros، لا بد أنه كان الرئيس، وقضاة كالآغورانوم Agoranome، ومسؤول شرطة الأسواق والتموين، ويشار أيضاً إلى وظيفة المفتش (Episkopos).

وتشهد تحصينات الشهبا على أهميتها العسكرية،إذ كانت المدينة تعتبر مركزاً عسكرياً متقدماً يحمي المنطقة الجنوبية من هجمات الفرس وحلفائهم.

الشهبا في العصر البيزنطي:

تتقلص آثار العصر البيزنطي، ابتداء من القرن الرابع الميلادي، لتنحصر ببوابات ذات تيجان إيونية تمتد أحياناً على طول واجهات المنازل، وببعض التزيينات التي أعيد استخدامها في الكنائس، وبوجود بعض الرموز المسيحية المنفذة على الساكفات وعلى قواعد الأقواس، وأحياناً بجوار تزيينات نباتية بدائية جداً. وإلى هذا العصر أيضاً يعود تاريخ الكنيسة المزدوجة ذات الجناح المستطيل الثلاثي الأجزاء، والواقعة جنوب الديكومانوس، والتي تحتلها المنازل الحديثة حالياً.



شهبا-الكنيسة-القرن٥م

لقد عرفت الشهبا في ذلك العصر نمواً اقتصادياً مميزاً يعتمد بشكل أساسي على الزراعة، وقد ساعده وجود خط سير تجاري يذهب من دمشق إلى بصرى (كما تدل على ذلك خارطة الطرق القديمة المعروفة باسم بوتنجر

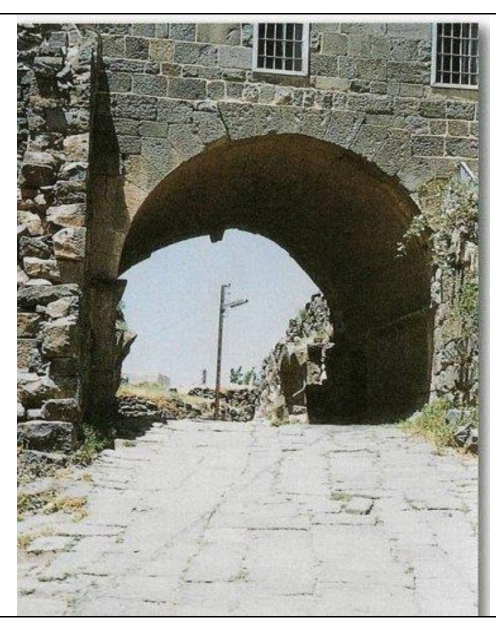
(Table de peutinger) والذي كانت تحتل فيه الشهبا محطة هامة. كما كانت التجارة مزدهرة، ويدل على ذلك وجود العديد من المحلات التجارية والمخازن على طول الديكومانوس والكاردو. وكانت المبادلات التجارية تتم مع دمشق مثلما مع بصرى وقبائل الصفا. ولقد استمر هذا النمو الاقتصادي والثقافي طوال العصر البيزنطي.

**

اشتهرت بالسوق التجاري الكبير الذي كان قائماً على التبادل التجاري بين شبه الجزيرة العربية جنوباً ومصر غرباً وبلاد الرومان شمالاً وهناك رواية "أن الرسول محمد (ص) قد مر بها في تجارته لخديجة، وفتحت سنة ٦٣٦م من قبل مالك بن شهاب المخزومي بعد أن حاصرها زمناً، وتم فتحها صلحاً واتخذها موطناً له ولعشيرته. سكنها بنو أسد بعد آل شهاب ،واشتهر من شخصياتها العلامة الفقيه العادل نجم الدين عمر الذي عمل قاضياً في مدينة شهبا مدة أربعين عاماً، وعرف باسم قاضي شهبا، وقد تتلمذ العلامة ابن كثير مفسر القرآن الكريم على يدي ابن قاضي شهبا"

إن الزلزال الذي ضرب كل منطقة حوران في ٢٧ أيلول من عام ١١٥١م والذي أصابها بأضرار حادة، ولا سيما لمدينة الشهبا، ثم تلته الغزوات المغولية في القرن الثالث عشر، قد أدى كل هذا إلى تهدم معظم الأوابد والمساكن، ثم هجرت هذه المنطقة لقرون عديدة بعد ذلك.. ففي القرن السادس عشر لم يكن يقطن الشهبا سوى إحدى عشر عائلة.


التجمع الأثري في شهبا

	
شهبا-طريق مرصوف وسيباط	شهبا-آثار قديمة

**

الرحالة(بوركهارد) في شهبا عام١٨١٢ م :
سطر في كتابه(:رحلات في سورية والبلاد المقدسة)

((انطلقنا من مردك عبر أرض وعرة إلى شهبا، وهي المقر الرئيس للدروز وغيرهم كما يستدل من أسوارها المتبقية. وفيها ثماني بوابات تتصل بطرق مرصوفة. تتكون كل بوابة من البوابات الثمان من قنطرتين وعمود في الوسط. والبوابة الشرقية تبدو أهمها، وهي مدخل للمدينة، مرصوفة بالحجارة المفلطحة المرصوفة بشكل مائل بدقة فائقة. وعلى الجانبين بيوت كثيرة للأهالي وأعمدة مهشمة أثرية. ورأيت فيها هياكل معمارية كبيرة مكعبة تشكل ساحة يخترقها الطريق. والمباني مبنية من مكعبات حجرية، وهي بطول ١٢ قدماً وعرض ثمانية أقدام، حجارتها صلبة جداً. وعلى اليمين دكة مرتفعة عليها أعمدة كورنثية قطر أحدها قدمان وربع، وكلها سليمة.

تابعت الطريق بعد الأعمدة فوصلت إلى المبنى الرئيس في المدينة. وهو على شكل هلال يتجه إلى الشرق، ليس فيه زخارف عدا بعض المحاريب الداخلية من الأمام. ولكني لم أجرؤ على الدخول لخوفي من صاحبه الحالي، وهو زعيم شهبا الذي أجبر الرحالة سيتزن على العودة إلى السويداء. ولم أفصح عن هويتي في شهبا. وأمام المبنى الكبير خزان عظيم مبني من الحجارة الصغيرة. وكان على يميني مبنى ضخم آخر مربع الشكل من الحجر، له بوابة واسعة يتكون ما بداخلها من سلسلة قناطر مزدوجة، إحداها فوق الأخرى بشكل تطغي العلوية على التحتية وبدت تيجان الأعمدة التي تحمل القناطر. ورأيت هناك بعض الكلمات المنقوشة على إحدى القناطر.

إلى يسار هذا المبنى في الطريق ذاته يوجد ممر مسقوف بشكل معقود وعدة محاريب جانبية وحجرات مظلمة، ربما كانت تستخدم لكبار الشخصيات في المدينة. وأبعد قليلاً هناك جدار ضخم لمبنى كبير، على حجرين منه قرأت بعض الكتابات. إلى الغرب من الأعمدة الكورنثية هناك مبنى صغير تم تحويله إلى مسجد. وفيه

عمودان قطر أحدهما عشرة بوصات وطوله ثماني أقدام، من حجر الغرانيت كالذي رأيته في بانياس. المكان المدهش في شهبا فيقع في جنوب المبنى الهلالي وما يجاوره. إنه المسرح الذي ما يزال بحالة جيدة. وهو مبني على منحدر، على شكل شبه دائري يحيطه جدار سماكته نحو ثمانية أقدام، وبمدخله تسع حجرات مقنطرة ومتراكبة. والحجرات السفلى مفتوحة على بعضها، أما الأخرى فتنفتح على المسرح. وللمسرح ثلاث بوابات، إحداها كبيرة على جانبيها بوابتان صغيرتان، على جانب كل منها شباك مغلق كالمشكاة لوضع التماثيل. وقطر المسرح بالقرب من المدخل ثلاثون خطوة. وهناك جدار عند المدخل الرئيس محاذ للمدخل بجواره حجرات أيضاً. إلى الجنوب الشرقي من شهبا آثار قناة مائية لجر المياه إلى المدينة من نبع في الجبل القريب، لكنها مردومة. لم يبق فيها سوى ست قناطر. وعلى مقربة من المدينة حيث تنتهي القناة مبنى كبير مقسم إلى عدة حجرات، والحجرة المجاورة للقناة مغلقة بجدار عرضه ١٢ قدماً وارتفاعه ٢٥ قدماً. سقف المبنى مقنطر ولكنه مهدم. والمدخلان أيضاً مقنطران، على جانب كل منهما فتحة للتماثيل. وقد نحتت قنوات للمياه من السقف إلى الأرض. على كل من جانبي الغرفة مدخل يؤدي إلى حجرة دائرية قطرها أربعة عشر قدماً، أما الغرفة الثانية فتشبهها لكنها أصغر حجماً. ولا توجد منافذ للغرف غير الباب، وسقفها من الحجارة، وهي ماتزال سليمة يغطي جدرانها ملاط. ويبدو أن المبنى هو الحمام. يشتغل أهالي شهبا بالمنسوجات القطنية والعباءات، وهم يوزعون القطن لكن نوعيته ليست جيدة. وفيها ثلاث عائلات مسيحية فقط. وتضم البلدة ثلاث برك للمياه، لكن بلا ينابيع. ومبانيها حجرية لها أبواب من حجر واحد مصفح (حلس).٠٠٠))

آثار الشهبا في العصر الروماني:

-أهم آثارها- حدثنا الآثاري غالب عامر عنها بقوله :

قلنا إن الامبراطور فيليب قام بتحصين، وتحسين شهبا ليجعل منها مدينة عظيمة من أشهر مدن العالم، فبنى فيها القصور الفخمة وفرش أرض غرفها بالفسيفساء الجميلة والنادرة الصنع.

وفي عام ١٩٦٢م قمنا بأعمال تنقيب في خربة أثرية تقع بجوار الحمامات الأثرية الكبرى في شهبا، وتبين بأنها داره هامة تعود إلى عصر الإمبراطور فيليب العربي (٢٤٤-٢٤٩)م. ووجدنا بأن أرض معظم غرفها كانت مفروشة بالفسيفساء ،وعثرنا على أربع منها بحالة سليمة تماماً. ولما كانت من أجمل ما اكتشف من الفسيفساء في العالم وهي نادرة المثال وعلى غاية كبيرة من الاتقان الفني والدقة في الصنع وتبرز مهارة الفنان والصانع العربي في ذلك العصر، فقد أبقتها المديرية العامة للآثار والمتاحف في مكانها الأصلي، وأعادت بناء الجناح الذي يحتوي على هذه القطع الثمينة وجعلته متحفاً للفسيفساء، وهو المتحف الفريد من نوعه ويختص بهذا النوع النادر الجميل. أما الفسيفساء المكتشفة فكل لوحة منها ترمز إلى أسطورة من الأساطير الإغريقية القديمة."

شيدت مدينة شهبا على نمط روماني معددين ماهو ظاهر فيها

-الأسوار والأبواب: إن فيليبوبوليس عبارة عن قلعة حقيقية Castrum، ومخططها يقترب من شكل المربع المحصن بضلع يبلغ طوله ١كم، وتدعم الزوايا أبراج دفاعية تؤمن الإيقاع المعماري المنسجم للسور. إن هذه الأبراج، بالإضافة إلى جزء كبير من جدران السور، قد هدمت ولم يبق منها سوى ثلاثة أبواب

لتحصين المدينة أحيطت شهبا بسور شبه مربع طول ضلعه نحواً من كيلو متر ونصف،أو يزيد ،،،وبنيت في زواياه وفي أماكن متعددة منه أبراج دفاعية، ولكن مع الأسف فقد تهدمت جميع هذه الأبراج ومعظم أقسام السور



الصورة بوابة شهبا –القرن٣م- الصورة عام١٩٦٠

. ولم يبق واضحاً بصورة جيدة إلا المداخل الأربعة التي بنيت على شكل أقواس نصر لكل مدخل فتحة كبيرة في الوسط عرضها

٤,٦٥م وارتفاعها ٥,٧٥م وكذلك عن شمالها فتحة أخرى مناظرة لليمنى وهذه المداخل الأربعة تشكل الأبواب الرئيسية للمدينة.



الصورة البوابة الجنوبية في شهبا –القرن٣م صورة عن قرب



الصورة في شهبا للمدخل المقوس



الصورة شارع مبلط في شهبا

الصورة في شهبا لشارع مبلط



الصورة من الصور القديمة للشارع في شهباالذي فيه عواميد

(شرقي، جنوبي، شمالي) بالإضافة إلى ثانوي في الجنوب الغربي من السور، وكلها مبنية على طراز أقواس النصر.

يعتبر الباب الجنوبي بحالة سليمة أكثر من الأبواب الثلاثة الأخرى التي تخترق سور مدينة فيليبوبوليس التي تأسست في القرن الثاني للميلاد . فهو ما يزال يستخدم مدخلا إلى قلب المدينة من ناحية الجنوب في وقتنا الحاضر كما كان قبل حوالي ألفي عام .

يتألف الباب من قوس أعظم في الوسط (٤.٦٠م) وقوسين جانبيين (٢.٨٠م) . يقود الباب إلى الشارع الأعظم المفروش ببلاط من حجر البازلت لم يبق منه ظاهرا للعيان إلا بقعة هنا وبقعة هناك .

يعتبر هذا المبنى بسيط الشكل ومحلى بعضادات تزينية في الزوايا الأربعة وكانت تحف به أعمدة زالت الآن .

كانت الأروقة الظليلة تحف بجانبي الشارع الرئيسي الذي يتجه باستقامة من الباب الجنوبي إلى الباب الشمالي ، وما تزال بقايا البلاط الحجري ظاهرة للعيان حتى يومنا هذا ، والبلاط نفسه ما يزال على حاله في أكثر من شارع في شهبا .

تقوم في وسط تقاطع الشارعين الرئيسيين للمدينة بقايا متواضعة للنصب المعماري المؤلف من أربعة أعمدة (التترابيل) . وعلى مسافة قريبة تطل على الشارع الرئيسي بقايا الحمامات الكبرى في المدينة .

ب-الشارع الرئيسي المبلط: الذي يخترق المدينة من بوابتها الشرقية إلى الغربية ويتعامد معه شارع رئيسي آخر يخترق المدينة باتجاه شمال جنوب من بوابتها الشمالية إلى الجنوبية. يتقاطع الشارعان المذكوران أعلاه عند المصلبة (التيترابيل: من اليونانية وتعني البوابات الأربع) أو وسط المدينة حيث يرتفع قوس النصر ذو الفتحات الأربع. ويبلغ عرض الطريق ٧,٢٠ متراً ولم يبق اليوم من هذه البوابات إلا قاعدة واحدة.

بقايا بلاط الشارع الأعظم من حجر البازلت ما تزال ظاهرة للعيان ويسير عليها المشاة كما تسير فوقها السيارات . بيد أنه لم يبق من الأروقة الظليلة أي أثر الآن ، أما البيوت والمحلات التي نراها فإن أجزاء منها ترقى إلى القرن الثاني للميلاد .

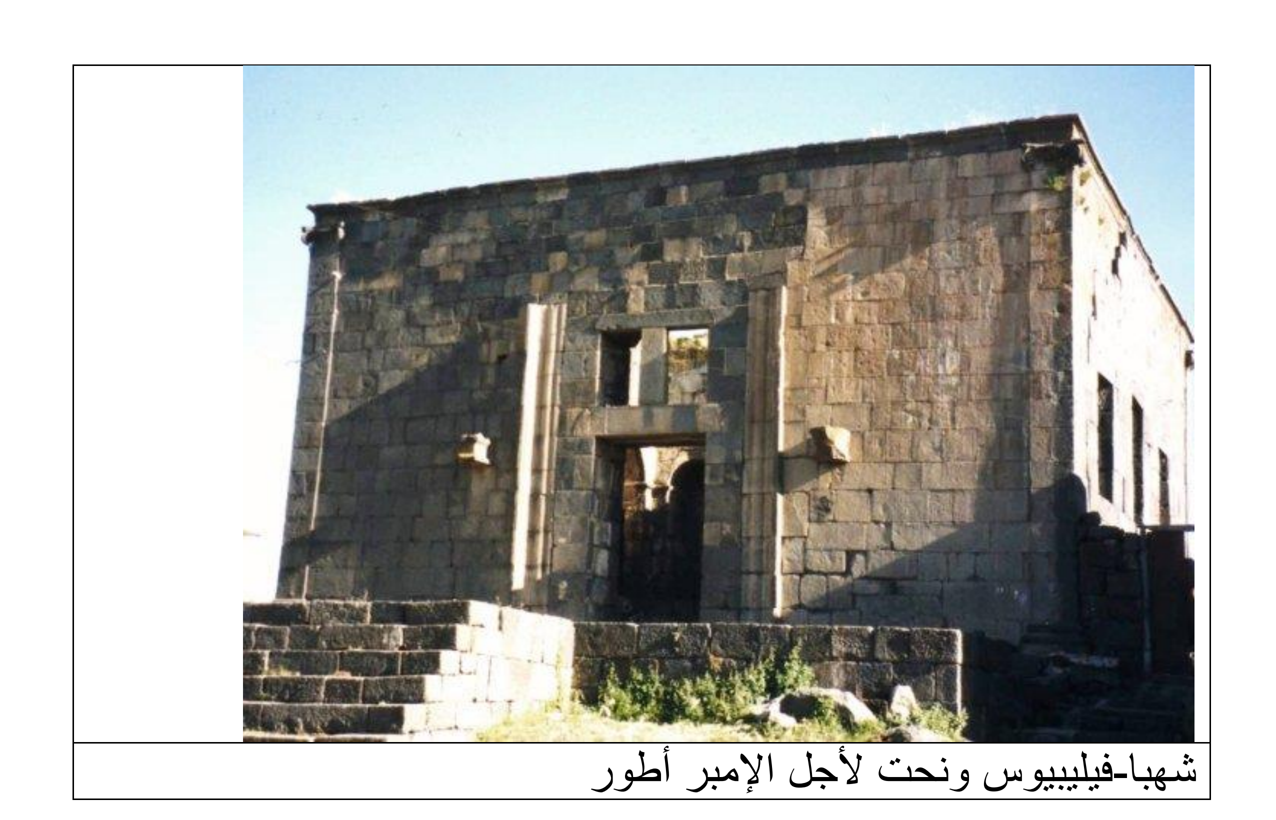
-الشوارع المبلطة ورباعي الأعمدة: إن ما يدهش في هذه المدينة، هو الحفظ الجيد للشوارع المبلطة ببلاطات كبيرة من البازلت، فالشارعان اللذان يعبران الشهبا من الشمال إلى الجنوب

(الكاردو) ومن الشرق إلى الغرب (الديكومانوس) يتقاطعان بزاوية عمودية عند بقايا رباعي الأعمدة، وكانت هذه الشوارع مزودة بأعمدة وتفضي إلى أبواب ثلاثية الأقواس، كأبواب جرش أو تدمر.

ج-المعبد: يقع على بعد ٥٠ متر تقريباً من (التيترابيل) وعلى حافة الشارع الرئيسي من الشمال. ومازالت ثلاثة من أعمدته ذات التيجان الكورنثية ماثلة إلى اليوم، وأرجح الظن أن تاريخ إنشائه يعود إلى فترة حكم الإمبراطور فيليبوس (٢٤٤-٢٤٩م).

- المعبد السداسي الأنماط:

يقع على بعد ٥٠ م إلى الغرب من رباعي الأعمدة Tetrapyle على طول الشارع الروماني الرئيسي – ديكومانوس- ولا يُشاهد سوى ثلاثة أعمدة بتيجانها الكورنثية، ويقبع ما تبقى من المعبد تحت المنازل الحديثة.



شهبا-فيليبيوس ونحت لأجل الإمبر أطور

	
	شهبا- فوروم،ومعبد يوليوس مارينوس

-المعبد الإمبراطوري:

يقع هذا المجمع الواسع الضخم حول ساحة واسعة مبلطة جنوب غرب الديكامونوس. وقد سماه م. دوفوغوية M. de Vogue في عام ١٨٦٢ م كليبة Kalybe، والدراسات التي أجراها م.غافليكوفسكي وغ. عامر لهذا الصرح والمنشورة في عام ١٩٨٥، تفترض أنه كان على الأغلب معبداً امبراطورياً بني في عهد الامبراطور فيليب العربي.

ثمة أطلال لمعبد هام ما تزال ماثلة في الشارع الواقع إلى الغرب من الشارع الرئيسي . تتألف تلك البقايا من بضعة أعمدة وشرفة وعدد من الجدران . وفي نهاية هذا الشارع تتربع أجزاء مبنى شبيهة ببناء القصور له حنية نصف مستديرة تجذب الاهتمام ويطلق الأهالي على هذا الأثر اسم " الكليبة " . يقوم إلى اليسار من الكليبة ضريح آل فيليب العربي وهو بناء صغير حسن الحال يشبه المعبد في هيئته ولعل أسباب بنائه تكمن في رغبة الامبراطور العربي تقديس ذكرى والده الذي وصل حينذاك إلى مرتبة الاله . ويتجلى هذا الاعتقاد بكل وضوح في الكتابة التذكارية التي تزين الباب ، اذ تذكر أن والد الامبراطور المدعو جوليوس مارينوس كان سيد البلاد في منطقة شهبا آنذاك .

-الفيلبيون Philippeion: إن هذا المعبد الواقع إلى الجنوب الشرقي من الساحة الكبيرة مرتبط بالمجمع الصرحي المذكور من قبل، وهو مربع الشكل، ضلعه ١٢,٥م وارتفاعه ٦,٧م، والزوايا متوجة بتيجان إيونية، وكانت فتحة المدخل ترتفع إلى علو ٥,٥م بعرض ٣م وعلى جانبي الباب مازال يمكن رؤية حاميا الإفريز وعليهما نقوش يونانية مهداة إلى الرب مارينوس الممجد، وهو أب فيليب العربي.

	
شهبا-بناء يسمى الكليبة(المعبد)	بقايا لمبنى (كليبة)

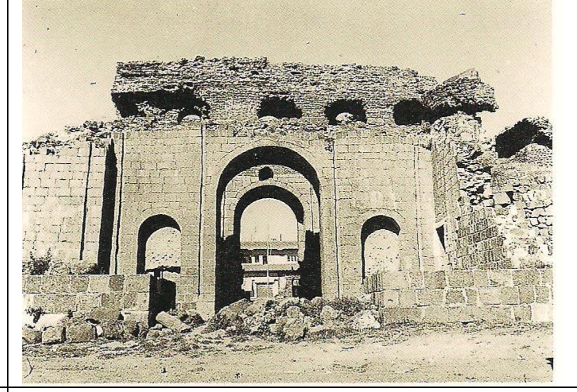
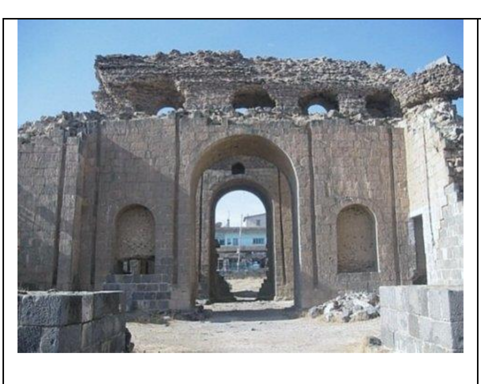
-الكليبة: وهي كلمة يونانية (   ) وتعني لغةً الكوخ أو السكن الريفي أو بيت حوريات الماء. وهذه التسمية أطلقها المستشرق الفرنسي دوفوغيه (De vogue) على الأبنية الدينية الكثيرة الانتشار في منطقة حوران من نمط معين نراه يتكرر في مناطق قريبة والصحيح أن اسمها القبلة وتعني بالنبطية المحراب، وفي اليونانية مسكنا ريفياً وقد تعني بناءً دينياً كمسكن للآلهة، ونذكر منها كليبة الهيات وأم الزيتون وشقا.حيث احتوت هذه الكليبات محاريب كانت توضع فيها تماثيل للآلهة اليونانية والرومانية المختلفة. غير أن الحفريات التي جرت على المكان في مواسم تنقيبية في الثمانينيات لا تؤيد وجهة نظر دوفوغيه ، ومازالت وظيفة هذا المبنى بين أخذٍ وردّ نظراً لعدم تشابه مع الكليبات الأخرى المكتشفة في المنطقة.

مبنى بحالة ممتازة من الحفظ يدعى بالفيليبيون وتجمع المصادر على أنه كان معداً لأن توضع فيه رفات والد الامبراطور فيليبوس، يوليوس مارينوس وزوجته ماقيا أوتاكيليا سيفيرا أي مدفناً خاصاً بالعائلة. غير أن الكتابة اليونانية التكريسية المنقوشة على ساكف

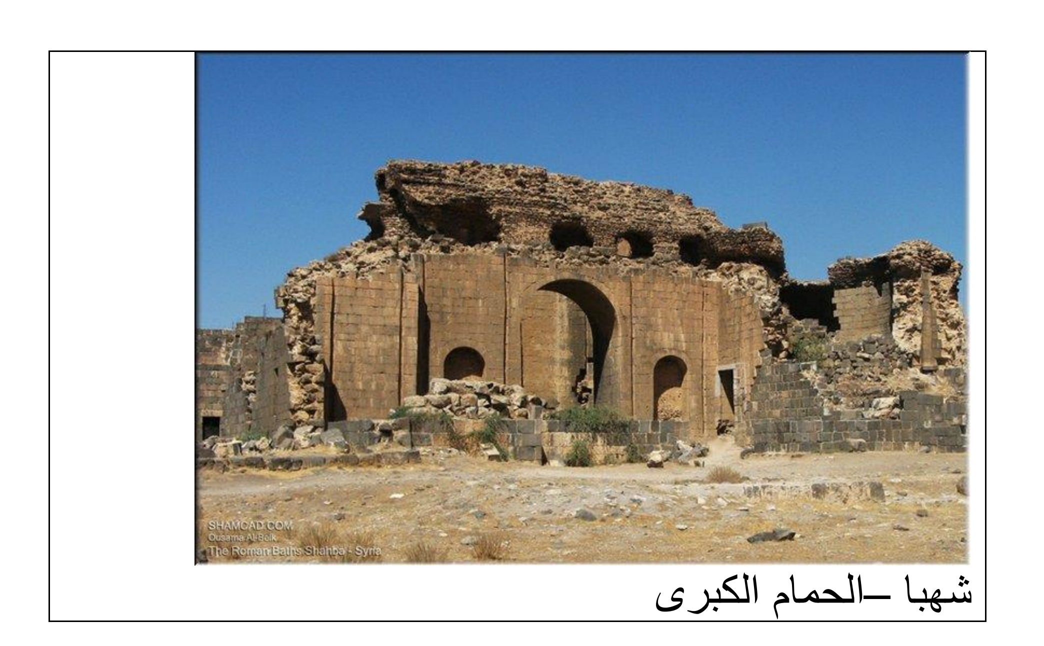
بابه تقول شيئاً آخر لا يمت بصلة إلى هذه الوظيفة. باب هذا البناء يزدان بنقوش جميلة ويبلغ ارتفاعه خمسة أمتار ونصف المتر وعرضه ثلاثة أمتار. وفي زمن الاحتلال الفرنسي صُغِّر هذا الباب وحُوِّلَ البناء إلى مدرسة ابتدائية بعد فتح نوافذ في جداريه الجنوبي والغربي، وتم جلب الساكف الذي يحمل الكتابة اليونانية من مكان آخر، ووضع فوق الباب ليصبح عتبة له. أما الآن فهو خالٍ ونشاهد بوضوح المحاريب الكبيرة الموجودة في الجدران من الداخل. أما من الخارج فالبناء مزين في زواياه بأربعة تيجان أيونية موضوعة فوق الزوايا المبينة بشكل أعمدة مربعة.

هـ-الحمامات الكبرى: بناها الامبراطور فيليبوس وتقع على الطرف الشرقي من الشارع الرئيسي المبلط الممتد من الشمال إلى الجنوب، وهي حمامات عامة من أجل راحة ومتعة سكان الشهبا، و تقع على طول الكردو، عند نقطة وصول قناة مازالت تحتفظ بالعديد من أعمدتها، كانت هذه القناة تأتي بالماء من جبل عند قرية مجاورة تقع على بعد ١٥كم من المدينة. وتتكون هذه الحمامات التي تبلغ مساحتها ٥٠٠٠ م٢ من ثلاث مراتب من القاعات: Caldarium , Tepidrium , Frigidarrium. وهي وافرة التزيين بالرخام الملبس على الجدران وكذلك بمعجون المرمر وبالجبس –فناء محاط بالأعمدة- وتضم أيضاً ملحقات عديدة أخرى: مكتبة، قاعة مطالعة، قاعة تربية بدنية، قاعة تسلية، على غرار حمامات روما العامة، وأهداها لمسقط رأسه شهبا.

يمكن للمرء أن يشاهد من أطلال هذه الحمامات الفخمة قاعة واسعة يبلغ طولها عشرة أمتار كانت مخصصة لخلع الملابس. أما القاعات والحجرات المخصصة للقسم البارد والدافئ فقد زالت تماماً، ولم يبق من القسم الحار سوى جدار واحد فقط.

	
شهبا-الحمام-صورة قديمة	شهبا-الحمام-صورة حديثة

كما يمكن رؤية بقايا الأنابيب الفخارية والرصاصية، التي كانت تتشعب في أرجاء البناء لتزويده بالماء والهواء الساخن. كانت هذه الحمامات تتلقى مياهها من أحد الينابيع القريبة بواسطة قناة يبلغ طولها (١١كم) والتي يمكن رؤية بقايا بعض الأعمدة التي كانت تحملها. كما لا يزال برج استقبال المياه من هذه القناة منتصباً حتى اليوم. كانت المياه تصل إلى الحمامات بوساطة أقنية مرفوعة على قناطر عالية تأتي بالماء من ينابيع جبلية بعيدة، وقد قاوم عدد من تلك القناطير عواتي الدهر وظل باقيا إلى الآن .



شهبا –الحمام الكبرى

تستحوذ بقايا الحمامات العامة على إعجابنا حتى هذا اليوم ،وذلك لامتدادها الواسع وارتفاع بنيانها الشاهق . كان الماء يأتي إليها من نبع جبلي بعيد على ظهر قناطر بالغة الارتفاع . ونستطيع إدراك عظمة البناء بمقارنته مع الجدران القزمة المحدثة في قلب المكان .

تتألف الحمامات الكبرى من صالة لتغيير الثياب (المشلح) ومن الغرف الدافئة والغرف الساخنة (للتعرق) ولا بد أن كان هناك جناح خاص بالنساء .

وتتألف من ثلاثة أقسام رئيسية هي القسم البارد (فريجيداريوم) والقسم الفاتر (تيبيداريوم) والقسم الحار (كالداريوم) مع الملحقات التي كانت تتبع الحمامات العامة كالمكتبة، وغرف المطالعة، والرياضة، والمطعم ،وغرف اللهو ،والتسلية وغيرها. وكانت جميع هذه الأقسام الأخيرة وملحقاتها غير واضحة المعالم حتى أواخر السبعينات من القرن العشرين بسبب الدمار الكبير الذي لحق بها، وقيام مبان محدثة فوق معظم جوانبها. إلا أن المديرية العامة للآثار والمتاحف قامت باستملاك تلك المباني المحدثة وهدمتها ،ونقلت أنقاضها كما قامت بعملية تعزيل، وتنقيب واسعة لعدة

مواسم، فتم الكشف عن أقسام الحمامات وملحقاتها بوضوح وجلاء ، وتبين أن المدخل الرئيسي لها من الشمال، وليس من الغرب كما كان يعتقد سابقاً. وهو يتألف من باب عريض ينتهي برواق على طرفيه بركتي ماء للسباحة ثم رواق عرضاني يمتد شمالاً وجنوباً ويليه القسم الفاتر ثم القسم الحار. أما المشالح فقد كانت على يمين وشمال المدخل الرئيسي. وباقي الأقسام الملحقة تم الكشف عن بقاياها وتبين أنها كانت تقع في الجهة الشرقية من الحمامات وعلى طرف شارع يمر أمامها من الشرق ويمتد شمالاً وجنوباً.

كشف المنقبون الأثريون بالقرب من الحمامات الكبرى عن بقايا دار كبيرة احتفظت أرضياتها بروائع الفسيفساء .

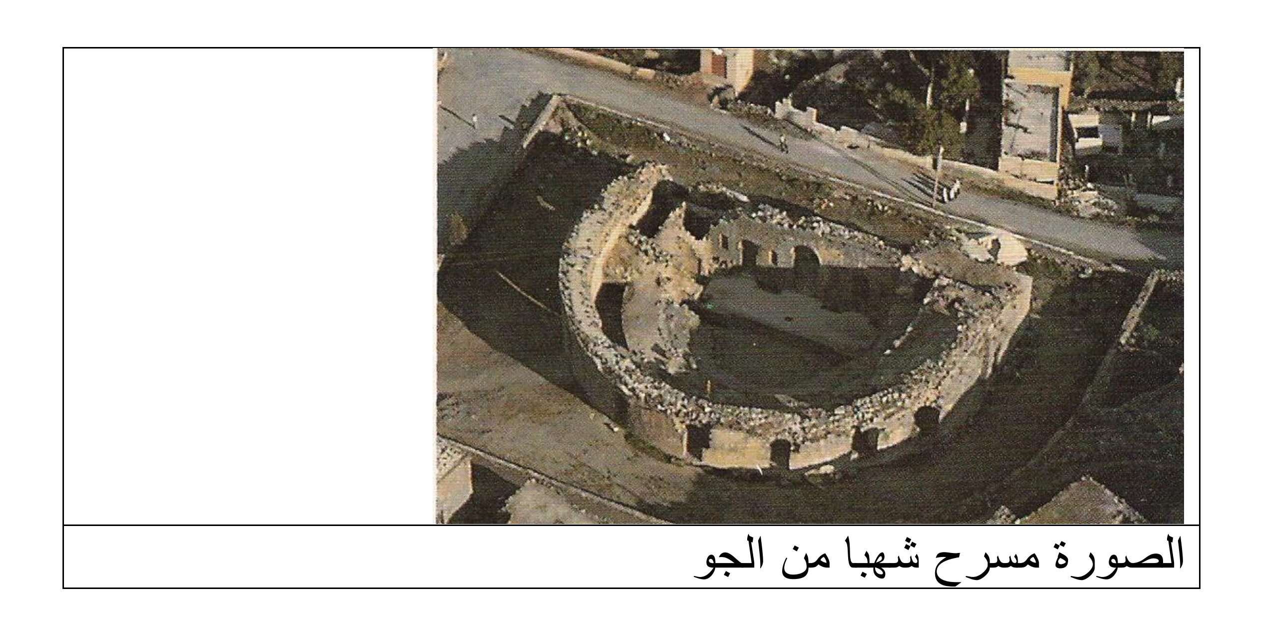
((تعتبر حمامات شهبا من أهم و أشهر الأوابد الأثرية في سورية ومن أكبرها ، ففيها الأقسام الرئيسة كالداريوم (الحار) والقسم البارد مع مشالح الثياب والمباني الملحقة كـ المكتبة وغرف المطالعة والصالون الرئيسي وغرف التسلية والمطبخ والمطعم التي كانت تتبع للحمامات الكبرى ، كما هو في روما وغيرها . تبين من خلال التنقيب أنها كانت مفروشة بالرخام ، وخاصة إحدى برك المياه الباردة مع وجود خزانات أرضية . تم الكشف عن شارع يمر أمام الحمام وحتى الدارة الرومانية (متحف شهبا) بعرض ٦,٥م ، وله رصيف بعرض ١,٤٥م. مفروش بالبلاط الحجري)) مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية مجلد ١/٣٣ مقال لغالب عامر

-قناة المياه المحمولة: وتكمل هذه القناة وظيفة الحمامات حيث كانت تجر لها المياه من قرية الطيبة التي تبعد مسافة (١١كم) إلى الجنوب الشرقي من مدينة شهبا بأقنية محمولة على أقواس وركائز عند مدخل المدينة ولم تزل هذه الركائز ظاهرة حتى الآن وصولاً إلى ظهر الحمامات وتوزع عليها بواسطة أقنية من الفخار تمتد في قلب الجدران ولم تزل بقاياها ظاهرة حتى الآن. كما تشاهد في الجدران أمكنة مسامير البرونز التي كانت تثبت صفائح الرخام والمرمر التي تبطن الجدران من الداخل.

-المسرح :

ومن منجزات فيليب بناء مسرح مازال القسم الكبير منه محفوظاً بصورة جيدة منها يقع جنوب الفيليبيون تماماً، وهو أصيل من الناحية المعمارية. إنه نموذج جميل للتقنية العربية في العصر الروماني، وقد بني بمهارة بيد بنائي المنطقة في ذلك العصر. وهو يطل على الجنوب ويبلغ قطره ٤٢,٥م. وقد بني بالأصل بطابقين، ولكن لم يبق سوى تسعة صفوف من مدرج الطابق الأول باستثناء الصف الأول من مدرج الطابق الثاني في الجهة الغربية. ويظل هذا المسرح من أفضل المسارح حفظاً في سورية. في صحنه تسعة صفوف من الدرجات وأروقة وجدار مكان التمثيل مع محاربيه بشكلها الأصلي وهو جنوب المقبرة وبحالة حسنة، وإن كان لا يماثل مسرح بصرى فهو يقدم نموذجاً للمسارح الرومانية في بناء الأروقة والأقبية وترابط أقسامها مع بعضها الآخر، طول قطره من صدر جدار منصة التمثيل إلى جدار الإطار ٢٤,٥م.. كان له طابق علوي، لم يبق منه سوى جزء من الدرجة الأولى في الجانب الغربي وهو يقع وسط المدينة حيث كثافة الأبنية العامة مع وجود ترابط مشترك مع مقام فيليب والساحة الأمامية التي يتقدمها من الجهة الغربية منصة مرتفعة مع صدر منحني تعطي دليلاً على أنها ساحة عامة لتواجد الناس لمشاهدة عرض ما فوق هذه المنصة، أو هو بمعنى آخر موقع مسرح بدون مدرجات يتواجد فيه المشاهدون لمشاهدة عروض معينة ذات طبيعة ربما تختلف عما يدور على خشبة المسرح، ويندرج هذا البناء ضمن البرنامج العمراني الكامل لمدينة شهبا في عهد الامبراطور فيليب العربي في منتصف القرن الثالث للميلاد. وبذلك يعتبر هذا المسرح آخر بناء مسرحي روماني في المنطقة وربما في بلاد الشام والعالم

الروماني." هذا الرأي أطلقه د. خليل مقداد في مقاله المنشور في مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية المجلد ٤١ ص١٣٢.

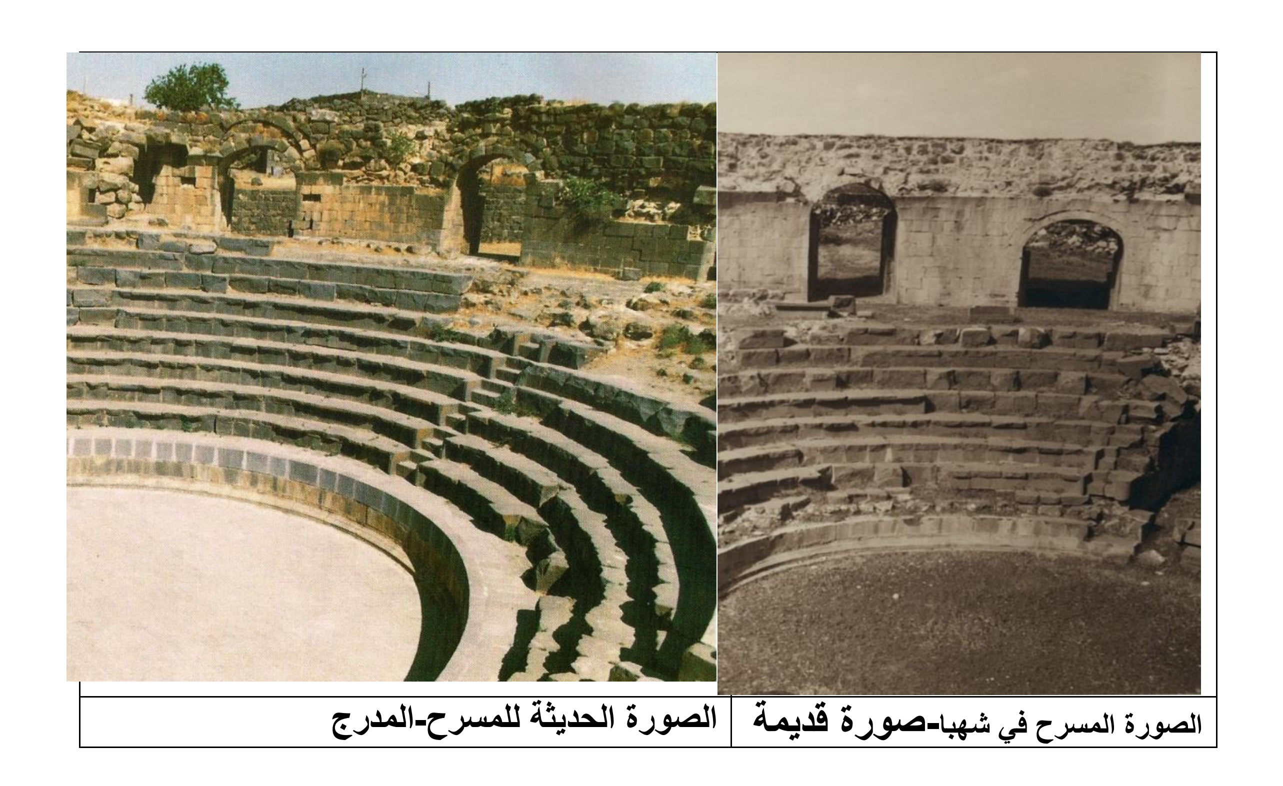


الصورة مسرح شهبا من الجو

لا يتجاوز قطر المسرح الأربعين مترا ويتراوح عدد صفوف المقاعد بين ١٥ و ٢٠ صفا . من الممكن الآن عرض المسرحيات

في هذا المكان فالخشبة والكواليس والدهاليز الخلفية والأبواب ما تزال على افضل حال .

تبلغ أبعاد كواليس مسرح شهبا ٤٢ X12م بينما تبلغ أبعاد خشبة التمثيل الملاصقة للجدار الشمالي للكواليس مقدار ٢٠ X 4.30 م . تشبه واجهة الكواليس شكل بوابات المدن أي قوس أعظم في الوسط وقوسان جانبيان وعلى جانبي كل قوس توجد محاريب مستديرة ومستطيلة .



الصورة المسرح في شهبا-**صورة قديمة**	الصورة الحديثة للمسرح-المدرج

لا يبعد مسرح شهبا الأثري كثيرا عن وسط المدينة وهو يزودنا بفكرة حسنة عن نماذج المسارح الصغيرة في الفترة الرومانية . يبلغ قطره المدرج ٤١م وقد قسمت صفوف المقاعد إلى قسمين بوساطة ممرين لكن لم يبق من القسم العلوي إلا أثر قليل .

منظر باتجاه المدرج ونرى في اليسار مدخلا مسقوفا بعقد وهو يقود إلى الحلبة المستديرة الواقعة بين الخشبة والمدرج . كذلك نرى درجا ضيقا يخترق صفوف المقاعد وهو مخصص للصعود والنزول . كما نرى الممر الذي كان يفصل بين القسم السفلي والقسم العلوي لصفوف المقاعد .



الصورة مدرج المسرح ومدخل الجمهور

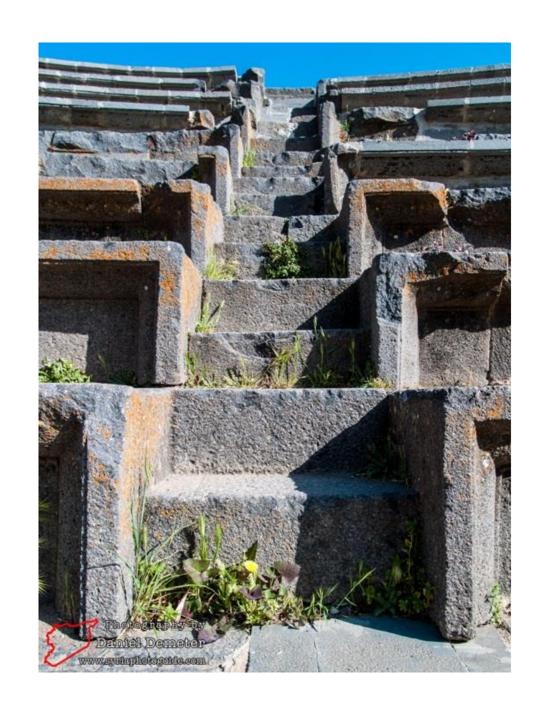
استغل المهندس الذي صمم المسرح ميل الأرض في هذه البقعة من بلدة شهبا كي يسند عليها جسم المدرج . يبلغ عرض الممر ٢.٨٦م ويمكن الدخول إليه عبر خمسة مداخل .



الصورة مسرح شهبا من المحيط الخارجي



الصورة منصة المسرح في شهبا



مصاطب مدرجات مسرح شهبا

يعتبرالمسرح من أفضل المسارح حفظاً في سورية.

**

فيها مقابر صخرية بينها مقابر خصصت لوضع رماد أقارب الامبراطور، مزينة بتيجان أيونية ولعل القنوات المائية قد كانت تجلب إليها من قرية الطيبة الواقعة إلى الجنوب الشرقي منها، وهي قنوات محمولة على قناطر أما القصر فيقع بجوار الكليبة قد كان مقراً لحاكم المنطقة بعد انتشار المسيحية سعى أبناؤها لبناء كنيسة مازالت بقاياها قائمة.

اعتمدنا كثيراً على بحث الصديق "المهندس ملاتيوس جغنون" لتقديرنا الكبير له في جهوده البحثية المتمكنة وقراءآته الابيغرافية.

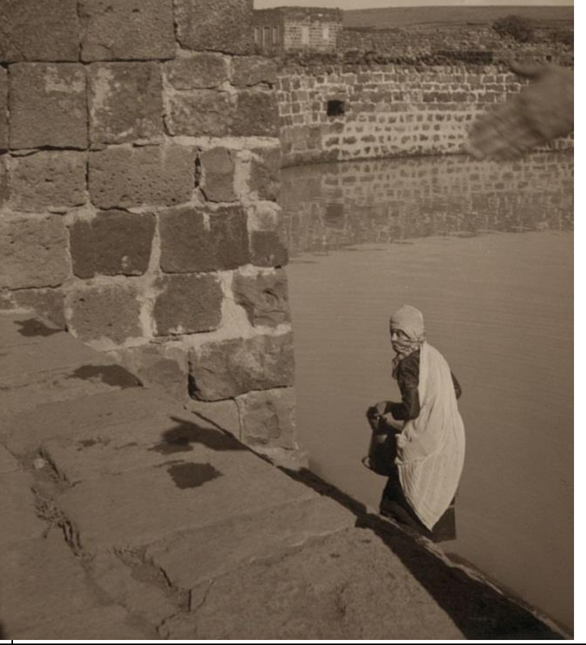
نقدم صوراً قديمة في شهبا للشارع القديم المرصوف بالحجارة، ولعواميد الشارع الرئيس، ولحوض ماء عتيق فيه عمودان، ولجد درزي مع حفيدته، وأخيراً صورة حديثة لثلاثة اعمدة متوجة بتيجان كورنثية أعادوها إلى عهد فيليب العربي



شهبا-العواميد الثلاث-صورة قديمة



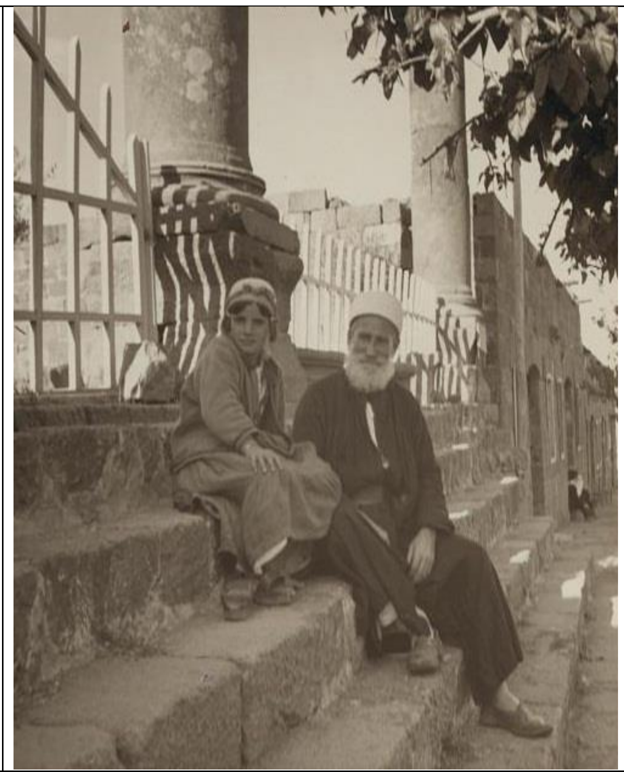
شهبا- -صورة قديمةللطريق المرصوف



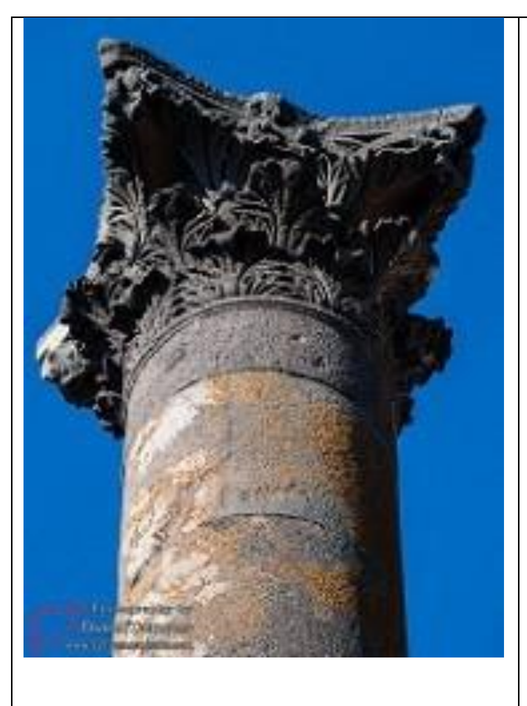
شهبا-حوض الماء



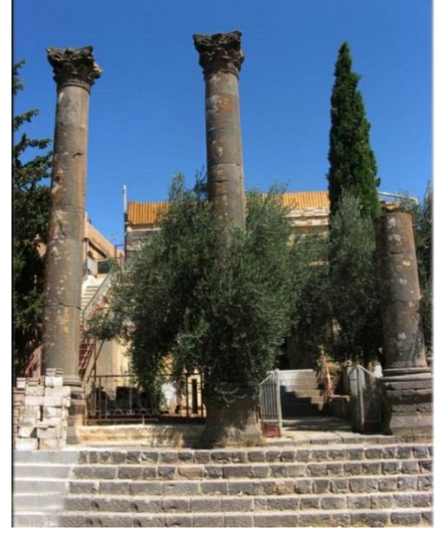
شهبا-حوض الماءوالعمودان

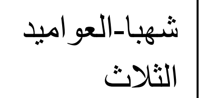


من سكان شهبا



تاج كورنثي في شهبا





شهبا-العواميد الثلاث

نصب شهبا: هو من حجر البازلت بشكل قائم عليه نحت بارز لشخص جالس بدون قدمين، وكأنه يصلي، ماسكاً بيديه شيئاً كوعاء نذري تحته كتابة يونانية واضحة في ثلاثة أسطرعربها لنا الباحث

ملاتيوس جغنون بما يلي((ساباروس عزيزو صنعه))القرن٣م-متحف شهبا



نصب شهبا-القرن٣م-متحف شهبا	نسر من شهبا-القرن٣م-متحف السويداء

التحدي المنتصب:

لعل رموز النسر في آثارنا كثيرة، لم تدرس بعد. بعضها في متحف معرة النعمان، وغيره، جميعها تظهره جالساً، لكن هنا يظهر منتصباً كالإنسان، باسطاً جناحيه، و كأنه سيطير

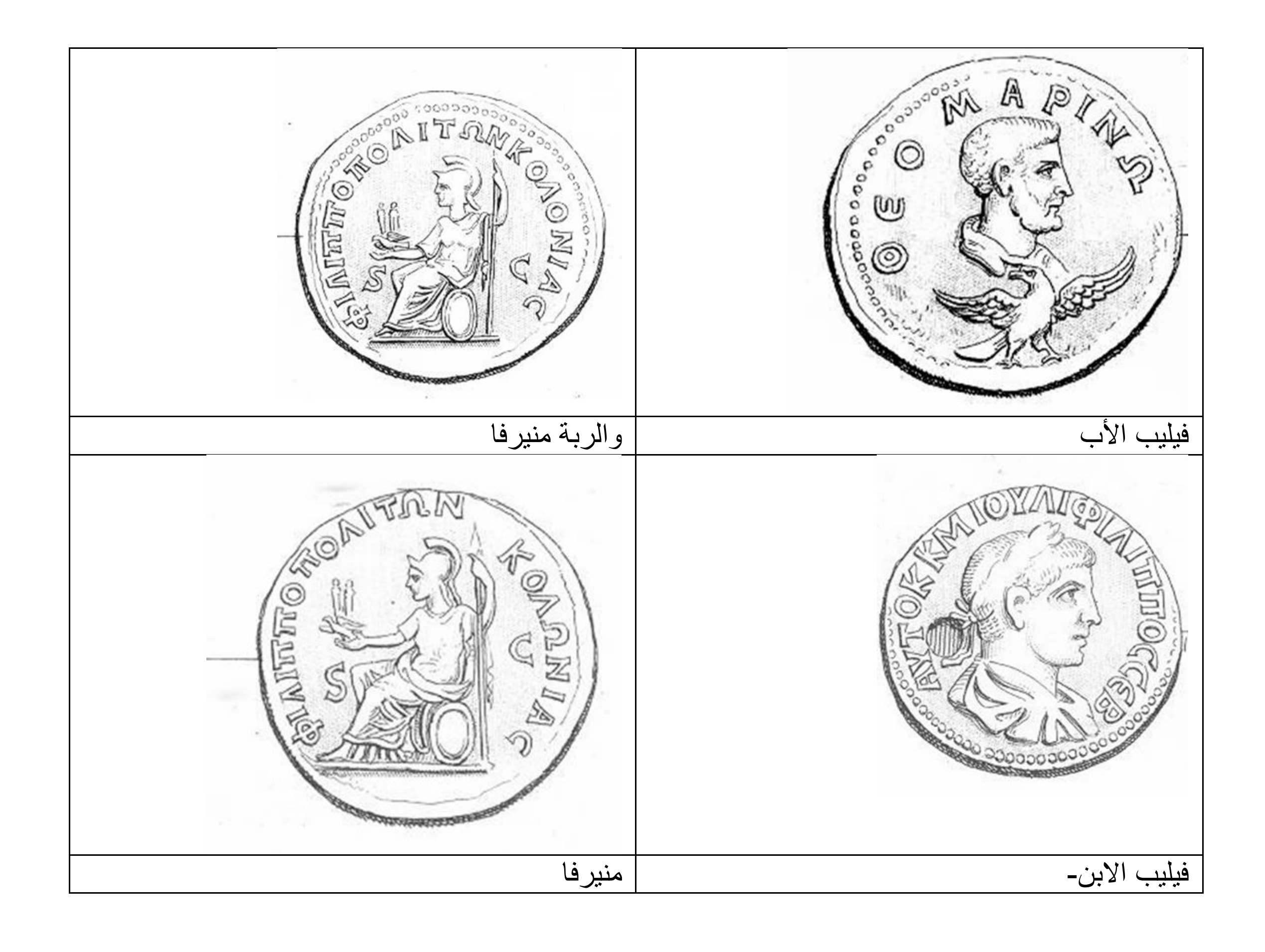
. هو في رمز التحدي منحوت من حجر البازلت- يرقى إلى القرن ٣م في متحف السويداء رأسه مفقود نلاحظ في الأسفل فتحة فارغة؟



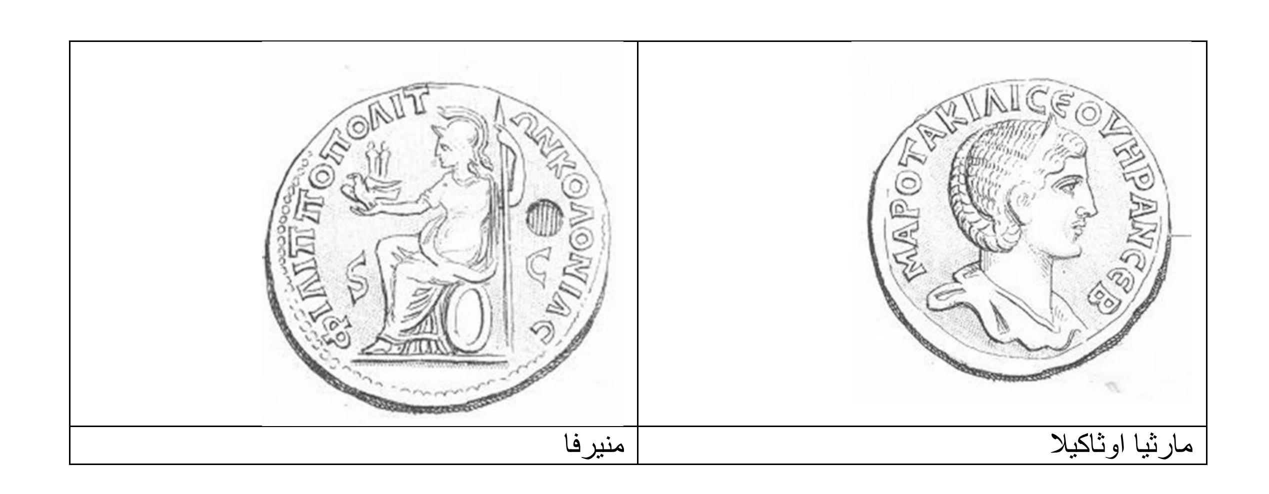
كتابة يونانية في شهبا	تفاصيل الكتابة	نحت نافر في شهبا

النقود في شهبا:

ذكر د.خالد كيوان ((أصدرت دار الضرب فيها مسكوكات برونزية نقية،سكت على غرار إصدارات مدينة أنطاكية،حيث حملت إله الحرب مارس-رأس تيكة ربة المدينة-الرية منيرفا(روما)بوضعيات مختلفة (الأشكال الثلاث)مع وجود النقش اليوناني الذي يذ كر اسمها(فيليبوبوليس)...))



فيليب الأب	والربة منيرفا
فيليب الابن-	منيرفا



مارثيا اوثاكيلا	منيرفا

الفصل الثالث

لوحات فسيفساء شهبا

هي موزعة بين المتاحف الثلاث –متحف شهبا ،ومتحف السويداء،ومتحف دمشق..نقوم بعرض ما توصلنا إليه.

١-لوحة تيتس / تلاسا ربة البحر

الغرفة الأولى في المتحف: مربعة أبعادها ٤٠٥ × ٤٠٥ سم وفيها فسيفساء (ثالاسا) أو ربة البحر في الوسط يزين رأسها فوق الجبين حيوان بحري على شكل نجمة البحر ، ويحيط بعنقها تنين البحر وتسبح حول شعرها أسماك ، كما يحيط بها إطار يحوي على تسعة أشخاص يمتطون القوارب والدلافين وعلى يسارها مجداف قارب تحيط بآلهة البحر الصغار، ويلف عنقها إطار تزييني جميل، كل هذا شكل أمامنا مشهداً يشدنا إلى الأعماق في اللوحة ،والتي عثر عليها في أحد قصور الامبراطور فيليب العربي وتاريخها ٢٤٤-٢٤٩م، وهي اسطورة اغريقية من حوريات البحر، تظن في اللوحة وكأنها تشع بالحركة في إطار مربع في الوسط، تتألق بوجهها وعنقها والنجمة المشعة فوق رأسها كرمز للنور. ولعلنا ستشعر وكأننا سنسبح معها في الإطار الثاني، والقوارب المتحركة بالحياة، والملائكة الصغار يقومون بالجدف، أو يركبون الدلفين، أو الصيد، أو السباحة ..

وفي متحف انطاكية لوحات فسيفسائية لربة البحر إحداها مصدرها دافني جنوب انطاكية (حربية) وترقى إلى القرن الرابع الميلادي تدعى (فسيفساء كالندر مع اوقيانوس وتيتس) يشغل مركزها الإله اوقيانوس إله البحر وهو شبه عارٍ وبيده مجداف، وحوله الدلافين ،والأسماك من أنواع مختلفة.



الصورة لوحة تيتس-شهبا(متحف شهبا)

وأخرى باسم (Thalassa ثلاسا) تشبه في تشخيصها ونظرتها لوحة تيتس في الصيد وهي هنا تسبح في الماء عارية بذات نظرتها وبيدها اليمنى مجداف ويلف خصرها أفعى، وشعرها فضفاض يحط فوقه أرجل حيوان بحري، وبيدها اليسرى تمسك رأس حيوان بحري آخر (دلفين صغير) وهناك مشهد إلى يمينها لصيادين شباب عراة يصطادون ،أحدهم فوق دلفين مع آخر يسير وراءه وأسماك وحيوانات

بحرية أخرى، وكلها يطغى عليها اللون الاخضر إلى الأصفر الذهبي والرمادي، وهي أيضاً مكتشفة في دافني (حربية) أعادوها إلى القرن الخامس الميلادي..



اللوحة تيتس وأوقيانوس –متحف أنطاكية/هاتاي(المصدر دافني/حربية

٢- لوحة تيتيس في الصيد البحري/والبحارة

اكتشفت في شهبا ونقلت إلى متحف السويداء بقياس ٢.٣٢×١.٨٤م وترقى إلى القرن الثاني الميلادي وهي اللوحة الثانية التي تمثل ربة البحر تيتيس THÉTIS وهي في الميثولوجيا الإغريقية إحدى حوريات البحر النيرايد، وزوجة بيله، وأم أخيل ،هذه اللوحة مقسمة إلى خمسة حقول داخل مستطيل مؤطر بزخرف على شكل

ضفائر مجدولة متصلة وملونة ولتشكل في الداخل إطاراً دائرياً كقرص بداخله رسم لوجه والصدر العلوي للربة تيتيس وهي تحدق نحو اليسار بشعرها المنسدل للأمام بلونه الأشهب المائل إلى اللون الرمادي نشاهد المجداف على كتفها الأيمن وإلى يسارها تنين البحر برأس كلب ترمقه بنظرة حادة مبتسمة، وإن كان هو يحاول بمنقاره الاقتراب منها.



الصورة تيتس ،والصيد البحري – شهبا(متحف السويداء)

أما الصور الأخرى فتمثل أربعة أشخاص على شكل بحارة عراة لهم أجنحة ويمتطون حيواناً بحرياً خرافياً (حوتاً) يظهرون وكأنهم يسبحون أو يطاردون شيئاً، إذ هناك بيد الاثنين في الأعلى ما يشبه سنارة صيد، وهي بيدها مجداف، وبذلك تكتمل صورة الصيد البحري، فهم يمثلون رحلة صيد بحري(..)ولعل لوحة تيتس هذه الربة البحرية تبدو مجهزة بمجذافيها يصحبها تنين برأس كلب، وهذا ما يبدو مألوفاً في فسيفساء الشرق.

تعتبر هذه اللوحة ذات الاطار الدائري، والتي ترمز مع ما يجاورها إلى حركية البحر وتموجاته وتؤكد (بالتي) بقولها "وتبقى صورة تيتيس لتذكرنا بشكل لائق وضخم بالبحر، حيث قدم المبدع القسطنطيني لمعرفة عملهم والاطلاع عليه..."

٣-لوحة اورفيوس/اورفة

تعتبر لوحات أورفيوس الفسيفسائية من أشهر اللوحات انتشاراً في المنطقة بعد لوحات الأميرة أوروبة ابنة الملك أوجينور ملك صور الفينيقي، واختطافها من قبل زيوس، ولكن من هو أورفيوس هذا ليهتم به كل هذا الاهتمام؟ تمتعت المنطقة في تاريخها العتيق بتصوير غناها،وجمالها الطبيعي في لوحات خلد الكثير من الأفكار، والأساطير، والمشاهد التصويرية، فأصبحت اليوم أحد أهم المصادر لتأريخ المنطقة، والغريب أن الكثير من المؤرخين في عصرنا لم يلتفتوا إلى المكتشفات الأثرية كـ لوحات فسيفساء، أو نقود في تأريخهم لتراثنا، وهذا التراث أيضاً كان قد أُشبع بالكثير من الأساطير اليونانية، وشعرائها الاسطوريين ك أورفيوس/أورفه Orphee مغني اليونان، بل هو أحد ملوك تراقيا (بين تركيا وبلغاريا)، اشتهر بموهبته الموسيقية في غنائه وعزفه على القيثارة بغنية عالية جذبت الحيوانات والطيور لتصغي إليه، حتى الأشجار كانت تتبعه، والأنهار تتوقف عند سماع صوته، وتهدأ الأمواج، حزن لزوجته الحورية أوريديس بعد أن فجع بموتها إثر لدغة أفعى.. وبقي يمضي حياته باكياً عليها بألحانه الشجية وعزف عن النساء،فانتقمن منه بأن مزقنه ،ورمينه مع قيثارته في نهر الايبر، ولكن ربات الموسيقا جمعن أشلاءه ودفنها عند أعتاب الأولمب، وأما قيثارته فقد رفعها زيوس لتصبح مجموعة نجمية في السماء، وإليه تنسب (الديانة الأورفية) التي تقوم على الأسرار، ويقال إن اورفيوس اقتبسها من عبادة ايز يس في مصر.

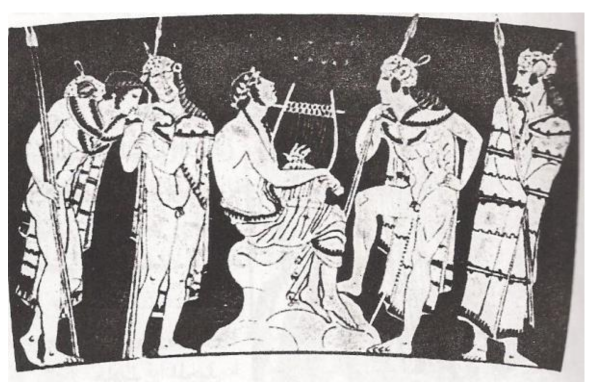
وارتبطت بعبادة ديونيسيوس أخويات الأورفيوسيين الدينية ، وكانت هذه قد حملت اسمها هذا تيمناً باسم المغني الأسطوري أورفيوس ، الذي نزل الى مملكة الأموات السفلية لكي ينتشل من هناك زوجته إيفريديكي . وقد عاد اورفيوس نفسه الى الأرض

ثانية ، لكنه فشل في انتشال زوجته . لقد كانت أخويات الأورفيوسيين موجودة قبل ذلك بزمن طويل ، لكنها مثلها مثل عبادة زاغريوس – ديونيسيوس ، لم تلق انتشاراً ملحوظاً إلا في القرون الأخيرة التي سبقت التأريخ الميلادي ، بعد أن جمت في ذاتها جملة من طقوس السحر الشرقية . وكانوا على يقين وقتذاك ، بأن الانسان إذا ما أدى طقوس هذه العبادة وامتثل لمتطلباتها الأخلاقية (التنسك ، واحتقار الجسد) ، فإنه قادر على أن يتطهر من أي إثم كان ، ويتفادى العقاب الذي ينتظره في العالم السفلي ، ويضمن الخلود لروحه . لقد آمن الأورفيوسيون ، عبدة زاغريوس – ديونيسيوس بنزوح الروح ، وتوسلوا من هذا النزوح تحقيق الانعتاق عبر الاتحاد مع الروح الكوني ، مع ذلك الجزء من الماهية الالهية ، الذي اعتقدوا بأنه متضمن في الغلاف المادي للإنسان ، وأنه يجب أن ينعتق من هذا الغلاف مرة وإلى الأبد .وفي بحثة الذي يحمل العنوان «كلمة لطمأنينة زوجتي » ، يتفكر بلوتارخ في مسالة خلود الروح وفق تعاليم مسرحيات الأورفيوسيين الدينية السرية التي كان مكرساً هو وزوجته فيها ، ولم يكن هؤلاء الصوفيون يقرون بالاعتقاد التقليدي الذي مؤداه أن الأموات عاجزون عن أي شيء غير لائق، ومسيء : تعاني الرح الخالدة ما يعانيه الطير الحبيس ، إذا ما طال زمن بقائها في الجسد ، ولذلك فإنها عندما تنعتق من الغلاف المادي تتجسد من تجديد في جملة من الولادات ولا تكف عن أن تخضع للمعاناة الدنيوية . وعليه فإنه من الأفضل للروح ألا تبقى في الجسد طويلاً ، لأنها عندئذ تحافظ على ما يدعوه بلوتارخ «الحالة الأفضل » ، أي الانعتاق من سلسلة الولادات . ومن الواضح كما يقهم من الملاحظات المتفرقة التي تحمل المصادر ، أن التخلص من تتالي الولادات ، والاتحاد مع إله خارج الوجود ، كانا الغاية من التكريس في مسرحيات الأورفيوسيين الدينية السرية . وكانت هذه المعتقدات كلها قائمة على الصوفية ، أي على إدراك العلم إدراكاً انفعالياً لا ‘دراكاً عقلانياً ، وعلى رفض الحياة الدنيا ، والسعي إلى العثور على وسائل للتواصل مع الاله واللا وجود ،

وتحقيق الخلود . وارتبطت بعبادة ديونيسيوس أخويات الأورفيوسيين الدينية ، وكانت هذه قد حملت اسمها هذا تيمناً باسم المغني الأسطوري أورفيوس ، الذي نزل الى مملكة الأموات السفلية لكي ينتشل من هناك زوجته إيفريديكي . وقد عاد اورفيوس نفسه الى الأرض ثانية ، لكنه فشل في انتشال زوجته . لقد كانت أخويات الأورفيوسيين موجودة قبل ذلك بزمن طويل ، لكنها مثلها مثل عبادة زاغريوس – ديونيسيوس ، لم تلق انتشاراً ملحوظاً إلا في القرون الأخيرة التي سبقت التأريخ الميلادي ، بعد أن جمت في ذاتها جملة من طقوس السحر الشرقية . وكانوا على يقين وقتذاك ، بأن الانسان إذا ما أدى طقوس هذه العبادة وامتثل لمتطلباتها الأخلاقية (التنسك ، واحتقار الجسد) ، فإنه قادر على أن يتطهر من أي إثم كان ، ويتفادى العقاب الذي ينتظره في العالم السفلي ، ويضمن الخلود لروحه . لقد آمن الأورفيوسيون ، عبدة زاغريوس – ديونيسيوس بنزوح الروح ، وتوسلوا من هذا النزوح تحقيق الانعتاق عبر الاتحاد مع الروح الكوني ، مع ذلك الجزء من الماهية الالهية ، الذي اعتقدوا بأنه متضمن في الغلاف المادي للإنسان ، وأنه يجب أن ينعتق من هذا الغلاف مرة وإلى الأبد .وفي بحثة الذي يحمل العنوان «كلمة لطمأنينة زوجتي » ، يتفكر بلوتارخ في مسالة خلود الروح وفق تعاليم مسرحيات الأورفيوسيين الدينية السرية التي كان مكرساً هو وزوجته فيها ، ولم يكن هؤلاء الصوفيين يقرون بالاعتقد التقليدي الذي مؤداه أن الأموات عاجزون عن أي شيء غير لائق ومسيء : تعاني الرح الخالدة ما يعانيه الطير الحبيس ، إذا ما طال زمن بقائها في الجسد ، ولذلك فإنها عندما تنعتق من الغلاف المادي تتجسد من تجديد في جملة من الولادات ولا تكف عن أن تخضع للمعاناة الدنيوية . وعليه فإنه من الأفضل للروح ألا تبقى في الجسد طويلاً ، لأنها عندئذ تحافظ على ما يدعوه بلوتارخ «الحالة الأفضل » ، أي الانعتاق من سلسلة الولادات . ومن الواضح كما يفهم من الملاحظات المتفرقة التي تحمل المصادر ، أن التخلص من تتالي الولادات ، والاتحاد مع إله خارج الوجود ،

كانا الغاية من التكريس في مسرحيات الأورفيوسيين الدينية السرية . وكانت هذه المعتقدات كلها قائمة على الصوفية ، أي على إدراك العلم إدراكاً انفعالياً لا 'دراكاً عقلانياً ، وعلى رفض الحياة الدنيا ، والسعي إلى العثور على وسائل للتواصل مع الاله واللا وجود ، وتحقيق الخلود .

وهي تشير بصورة كافية إلى أن مركز الثقل في العالم الجديد ينزلق أكثر فأكثر أيضاً نحو الشرق. وإنها لإشارة جديرة بأن يحتفظ بها: الأمراء الحمصيون لم يسكنوا البتة في روما، إنهم كانوا يوزعون وقتهم بين ليبيا وسوريا ومصر، ويجب التسليم بأنهم كانوا يحافظون على السلام مع جيرانهم الأرساسيين بإعطاء الإدارة صفة شاملة وعربية بكل معنى الكلمة. ودخل معهم مصريون إلى مجلس الشيوخ، ومنح كاراكالا بمرسومه الشهير لسنة ٢١٧ المواطنية



الصورة اورفيوس وهو يغني للتراقيين- رسم على مزهرية

الرومانية لجميع أحرار الامبراطورية، حاذفاً بشكل قطعي الحدود بين الشرق والغرب، والعروق والمعتقدات، إن ابن عمه باسي الجبل (هليو كابال)، كاهن الشمس الأكبر، قد وضع الحجر الأسود في روما، في معبد شيد من أجله في بالاتين. ولقد عبد خلفه الاسكندر القاسي، الذي رباه في انطاكية معلم اللاهوت المسيحي الكبير أوريجين، الثالوث المقدس المتمثل في إبراهيم وأورفيه والمسيح. (عن روسي)

هذه الأسطورة قد خلدت في لوحات فنية من القرن الخامس ق.م وفي وعاء أتيكي محفوظ في متحف برلين تمثله جالساً على صخرة وهو يعزف بآلته(نشوان) ألحاناً يصغي إليها جنود تراقيون، وبعضهم مغمض العينين، ومن صوره يبدو فيها عازفاً للحيوانات المتوحشة فتصغي إليه مسحورة بعزفه هذه المشاهد قد أثرت في الفن المسيحي المبكر حين صوروا السيد المسيح كمعلم وراعٍ صالح.

لقد انتشرت لوحاته بعد تبني المذهب الأورفي في الوسط الديني للتوفيق بين عهدين الوثنية، والمسيحية، والذي اعتبر رمزاً في الفن الأيقوني فيما بعد. خلاصة القول لوحة شهبا تعتبر من اللوحات الأجمل بين لوحات أورفيوس والتي ترقى إلى مطلع القرن الرابع الميلادي .

* *

نعود إلى لوحة شهبا(الصورة) في الغرفة الثالثة في المتحف تلي الثانية من الشرق أبعادها ٤,٧٠ × ٤,٦٣م وتحتوي على لوحة أورفيوس عازف القيثارة الأسطوري الشهير وهو ابن أبولون وحفيد زفس (زيوس) وهو أشهر موسيقار يعزف على قيثارته وتحيط به الحيوانات والطيور والأفاعي ومنها حيوانات أسطورية وجميعها تترنم تجاوباً مع ألحانه الشجية ،ولهذه اللوحة إطار جميل مزين بأشكال هندسية متنوعة يتخللها عشرون رأساً من رؤوس دافعات الشر،التي تؤكد مفاهيم هذه الأسطورة، والتي يظهر فيها جالساً على صخرة في وسط الطبيعة الرحبة، والغنية بالحيوانات المختلفة الأليفة، والوحشية، والطيور، والزواحف وسط غابة غنية بالأشجار ،والزهور، والرياحين، والملفت للنظر تقوس رقبة البطة خلفه، ومن المعروف فنان الموسيقا ليناً هشاً، بينما هنا هو صلب جبار يسيطر على الكائنات المتواجدة حوله، فهو هنا في لباس متميز، وكأنه رجل كهنوتي في صوفية شرقية – يحيط به حزام علوي جاء في مستوى الصدر، وأكمامه تبدو وكأنها ملونه ملفوفة، وسرواله الشرقي، وعباءته السورية المعروفة وعلى رأسه قلنسوة كروية في أعلاها، وأما الأفعى الملتوية حول الشجرة تتلوح طرباً راقصة بلسانها الممتد، والأجمل مشهده وهو واضع قيثارته على فخذه الأيسر ماسكاً بأصابع يده اليمنى ريشة العزف، في الوقت الذي



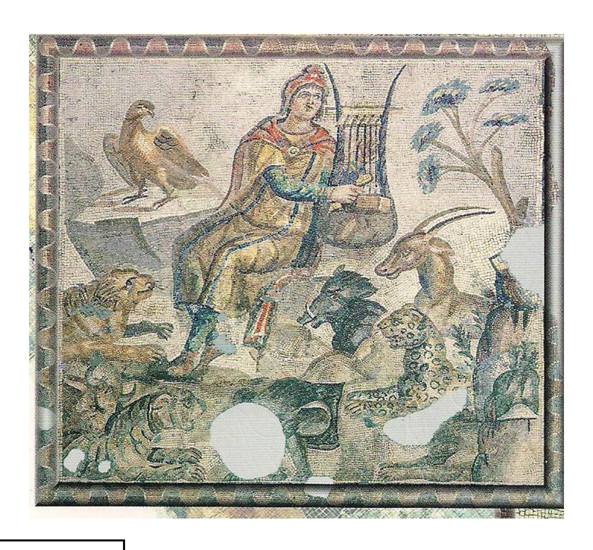
الصورة شهبا لوحة اورفيوس –القرن٣م-
متحف شهبا

يضرب بأصابع يده اليسرى على أوتار الآلة... هو في حالة تأمل نفساني في عينيه تحدقان في السماء كتعبير عن النشوة، ولكن فمه مغلق قد يدل على أنه قد كان يعزف فقط، بينما في لوحة طرسوس/تركيا (في متحف انطاكية) هو يغني وتشبهها في تجمع الحيوانات الأليفة والمفترسة حوله وعيونها محدقة بتركيز واضح وبعضها أفواهها تشدو، وأطرافها تتحرك، وكما هو في حركتها في لوحة شهبا، لكن قيثارته في لوحة طرسوس مختلفة في شكلها عن



الصورة تفاصيل في لوحة اورفيوس في شهبا الطاووس رمز الخلود

لوحة شهبا، ولباسه في الاثنتين مرتدياً عباءة شرقية برتقالية ،وعلى كتفه رداء معقود على زر معدني في لوحة طرسوس، ويضاف إليه رسم لنسر فاتحاً جناحيه تعبيراً عن النشوة، والطرب، وملتفتاً إليه (الصورة) بينما في لوحة شهبا دجاجة فوق كتفه ناظرة إليه فقط، ولعل وجود الطاووس رمز الخلود، مع النسر، والعقاب، والعنقاء، وكلها رمزية، تعبر عن البعث، والنشور، وحياة الخلود. لابد وأن لكل لوحة إطار يظهر أبعادها الجمالية، ولكن لوحة طرسوس اكتشفت وإطارها نصفه مفقود، بينما تتفوق لوحة شهبا عليها بإطارها المجدول، وهو الأجمل بين كل إطارات لوحات الفسيفساء



الصورة لوحة اورفيوس في متحف أنطاكية(المصدر طرسوس)القرن٣م

في سورية، إذ هناك تعبر عن مكانة أورفيوس كشخصية ليست فنية، بقدر ما هي دينية، ولتتحول فيما بعد إلى رمز مقدس.

**

**

ومن لوحات المنطقة لوحة اورفيوس طرسوس / تركيا (في متحف انطاكيا) فإطارها الجميل مختلف كل الاختلاف عن إطارات اللوحات في المنطقة ، فقط له مشابه في

لوحة فسيفساء (زوجما آخيل يرسل بتروجان إلى الحرب) في متحف غازي عنتاب / تركيا كلاهما على شكل تموجات هلالية كالأمواج،ومثلها في متحف انطاكية لوحة أخرى باسم (غانيمديس) ،إطارها الأول والثاني مشابه للوحة اورفيوس طرسوس، ولكن الاخيرة فيها اللون الأزرق يتخلل التموجات والتي يغلب عليها اللون الذهبي – الرمادي مما يُضفي عليها جمالاً مقارباً للطبيعة المجاورة، ويعطي حركية متدفقة في المشهد العام.

وأما الإطار الثاني الخارجي فهو على شكل حلقات مفتوحة كسنارات صيد متصلة ببعضها

وفي متحف باردو في تونس لوحة تمثل اورفيوس في نفس المشهد ولكن بدون إطار متميز، كماهو في لوحات اخرى مكتشفة في تونس ،وفي ليبيا



لوحة اورفيوس-ليبيا=متحف طرابلس	لوحة اورفيوس-تونس-متحف باردو

٤ –لوحة أفروديت، وآريس

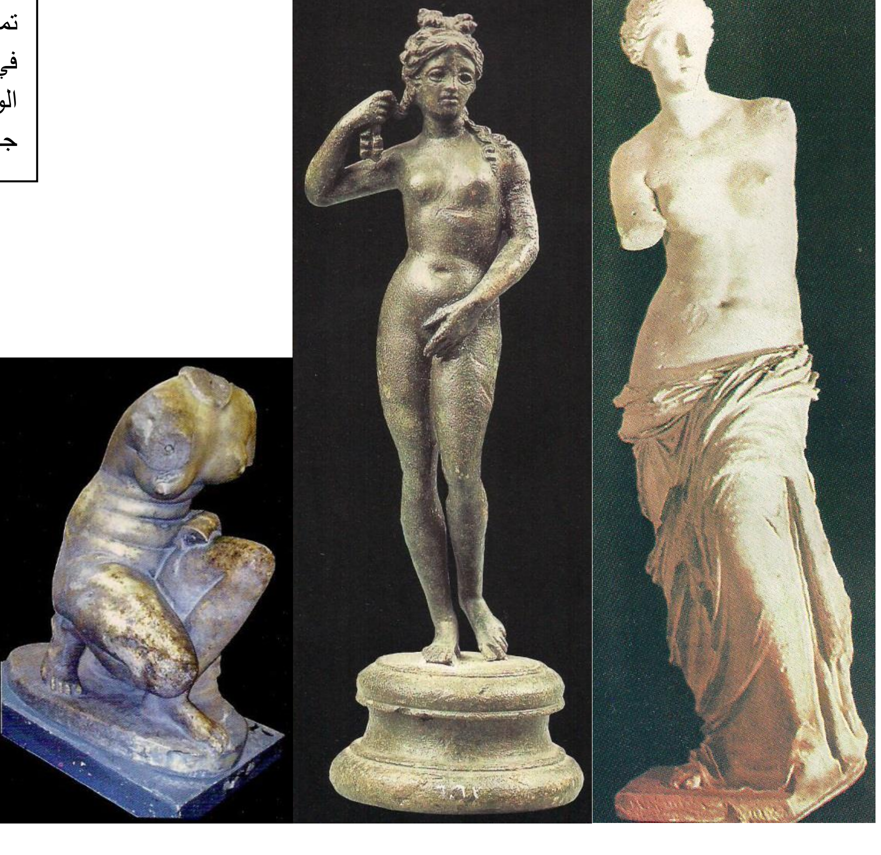
ما أكثر تماثيل أفروديت Afhrodite وهي فينوس في الميثولوجيا الرومانية (الصورة١+٢)، وهي واحدة من الالهة الاثني عشر الاولمبية الكبرى، كما أنها إلهة الحب والجمال والنسل، ومحركة الحب في قلوب العاشقين، وأما آريس Ares في الميثولوجيا الاغريقية فهو مارس Mars في الميثولوجيا الرومانية وهو إله الحرب.

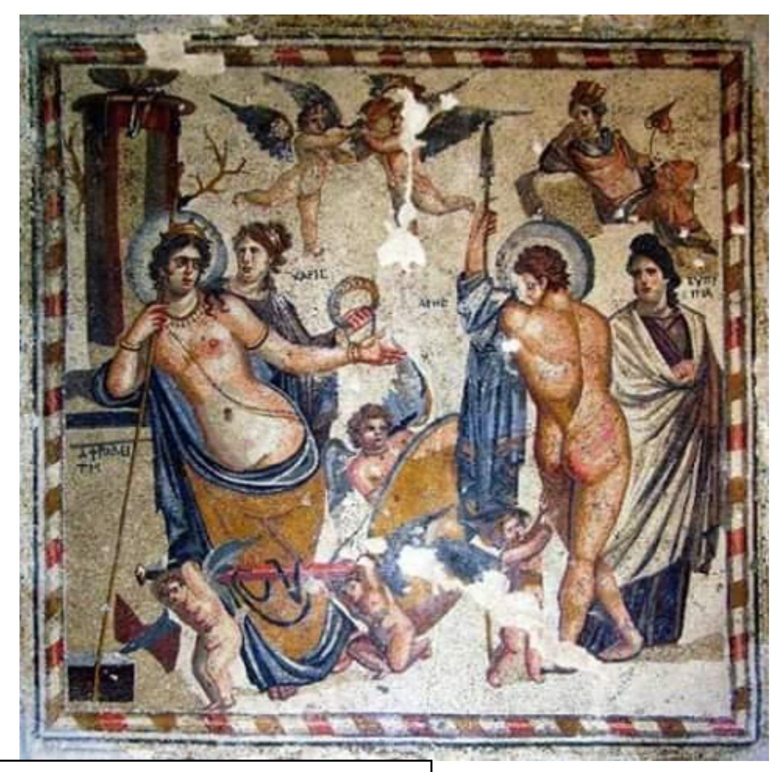
تبدو لوحتنا هذه بقياس ١٨٥× ١٨٥ سم في متحف شهبا والتي عثر عليها في مقر الامبراطور فيليب، والتي تضم ست شخصيات. (الصورة٣)

تبدو لنا أفروديت وهي عارية تبرز مفاتن جسمها _ وكما هي مصورة في معظم اللوحات والتماثيل في العالم_ ولكن هنا هي نصف عارية و تغطي نصف جسمها السفلي برداء شفاف بلون أصفر ذهبي تدخله خطوط وتتكئ بيدها اليسرى على طاولة الزينة لافة ساقها الأيمن على الأيسر، وكأنها تستعرض جمالها أمام آريس لينظر إليها.

كتب اسمها على جدار طاولة الزينة. الملفت للنظر وجود هاله دائرية حول رأسها مادة يدها نحو آريس وكأنها تقول له: "تعال إلى أحضاني، فأنا مكتملة الزينة، فتسريحتي فوقها مشبك شعر ذهبي مع حليتي حول جيدي ويداي" نشاهد في يدها اليسرى عصا نحاسية اللون تستند عليها.

تماثيل فينوس/أفروديت
في متحف اللوفر-باريس-
الوسطى في تدمر-الأخبرة
جالسة في متحف أنطاكية





الصورة لوحة أفروديت
،وآريس-شهبا(متحف شهبا)

أما (آريس) إلى اليمين فيبدو عارياً وكتابة اسمه إلى جانب ذراعه الأيسر، مستنداً على رمح ماسكاً به بيده اليمنى، ويلف رداءه حول ذراعه وملتفتاً نحو أفروديت، كذلك يحيط برأسه هالة دائرية حول رأسه، كأفروديت، وهو هنا كهرقل ممتلئ الجسم قوي البنية يمثل الرجولة وكما هي تمثل الأنوثة بكل تجلياتها، فكل منهما ينظر للآخر لتبادل الحب، وإلى جانبه فتاة برداء كامل بني اللون يدعى (تونيك) كتب اسمها بجانبها (اوبريبيا) وهي تنظر إليهما تعبر عن سرورها لهذا اللقاء أو هي تباركه .

أما (كاريس) Kares في الميثولوجيا الإغريقية فهي زوجة هيفيستوس إله النار، تبدو لنا كشابة تقف وراء أفروديت واسمها بجانبها مرتدية ثوباً كاملاً بأكمام فضفاضة، وبيدها إكليل لتزين به أفروديت ولها تسريحة مختلفة عنها كشكل هرمي فيه عقال ثلاثي في الحلقات .

يمكن القول إنها بمثابة وصيفتها تهتم بتزيينها، وإلى الاعلى في الزاوية نشاهد امرأة متكئة ومحتشمة برداء بني كامل اسمها فوقها (سكوبيا) على رأسها شكل يرمز لتاج، هي تنظر إلى المشهد وكأنها تفكر متأملة ما قد يحدث أمامها وفي يدها اليسرى غصن ينتهي بزهرة على شكل قلب أما الملائكة الصغار العراة فعددهم ستة يرمزون للحب ويرمون سهام الحب (رمزاً لايروس إله الحب) وفي الوسط أحدهم بعد طيرانه حط بينهما يشد من أزرهما، وعند ساقي آريس آخر ماسكاً بساقه يشده نحو الحب،







شهبا-تفاصيل لوحةأ فروديت

ساقي افروديت فوقهما حاملة وكأنهما يقولان لها اجلسي فوقها ولنحملك إلى آريس وتتبادلان الحب يطلق على هؤلاء الصغار اسم بوتي (ملائكة الحب الصغار) ويظهرون في كثير من النصب واللوحات وهم عراة ومجنحون، وقد قمنا بدراسة التابوت الحجري في متحف انطاكية حيث سنجد فوق الغطاء نحتاً نافراً لهؤلاء الصغار وهم مجنحون إن وجودهم يعني حياة الحب الدائمة، وأن الحب لا يقتصر على مكان بل يمكن أن يطير من مكان إلى مكان، بل سينتقل حتى بعد الوفاة.

أحب التنويه إلى أن تراثنا قد ضم في هذه اللوحة قصص الحب، أو ما يسمى في الأدب المعاصر بـ الأدب المكشوف، فيكون قد سبق كتاب أوروبا في ذلك، فالحب جوهر الحياة الإنسانية، به تستمر الحياة، فلا ضير في تراثنا التطرق إليه!

**

٥- لوحة تبرج فينوس / أفروديت

اكتشفت في شهبا وهي في متحف السويداء مقياسها ٣.٢٤ X ٣.٢٣ م وترقى إلى منتصف القرن الثالث الميلادي، أي إلى أيام حكم فيليب العربي .

من هي فينوس في الميثولوجيا الرومانية ؟وهي أفروديت في الميثولوجيا اليونانية ، وقد عرف عن الآلهة اليونانية صراعاتها، وبسط سيطرتها على الكون ، لكن أفروديت سلطانها يسري على قلوب الآلهة ،والبشر الفانين .

صورت بقامة هيفاء وجسد متناسق وموجة الشعر الذهبي الناعم المعقود كالإكليل فوق رأسها الجميل . هي ولدت من زبد أمواج البحر وحملها النسيم إلى جزيرة قبرص ، وهناك أحاط الأوراق بربة الحب الخارجة من الأمواج وغمرتها برداء ذهبي الخيوط ، وسار ايروت / ايروس إله الحب – ابنها وهيميروت بالآلهة الرائعة إلى جبل الاولمب ، لتقيم هناك كأروع الآلهات . هي تقابل عشتروت / عشتار في الشرق ، طالما جاءت من الشرق / قبرص ومنها جاء ابنها أدونيس الذي صور في لوحة مأدبا وكما سيرد وهي كذلك وهبت اله الحب ايروس جناحين وكما هو مصور في لوحاتها .

ارتبطت هذه الربة بالماء ،والجمال ، لذلك عبدت أفروديت بوصفها ربة البحر الذي ولدت منه وربة للملاحة " من ألقابها الشائعة لقب السماوية ،وهو لقب حملته كثير من ربات الشرق ، وقد ينم عن أصلها الشرقي ... وقد كان هناك شهر يحمل اسمها في تقاويم كثير من الدويلات اليونانيه ، وكان كوكبها هو الزهرة فينوس ، وشجرتها الآس ، وطائرها اليمامة ، وأما قربانها فكان الخنزير البري الذي صرع عشيقها أدونيس ،وأدمى قلبها حزناً عليه ، فشاطرتها حزنها كل النساء . وكان أبدع تمثال عرفه العالم هو تمثالها الذي نحته المثال المشهور براكسيتليس في منتصف القرن الرابع ق.م ، وعلى نموذجه تم صنع التماثيل التالية .



الصورة -رسم لفنان أوروبي عن فينوس تخرج من الصدفة-مشبك لفينوس تخرج من الصدفة-متحف اللوفر

**



الصورة لوحة تبرج فينوس-شهبا – القرن٣م-متحف السويداء

نبدأ بلوحة شهبا والمسماة لوحة (تبرج فينوس) والتي تعتبر إحدى اللوحات الأروع في المنطقة، وبالمقارنة مع غيرها من اللوحات المكتشفة في سورية وغيرها نعود إلى الباحثة (بالتي) التي اهتمت بدراسة الفسيفساء السورية في كتب ومقالات عدة قالت في وصف هذه اللوحة " تجلس فينوس فوق أريكة سميكة من الحرير وخلفها ساتر على شكل فرضة مثملة وعريضة باللون الأصفر والأزرق ، وفي العمق توجد صدفة أو قوقعة تظهر بشكل زخرفي مزين من ربع دائرة يمسكها ملاكان بحريان طائران من طرف وآخر . بينما فينوس تدير رأسها يساراً وتمسك في يدها اليمنى خصلة من شعرها الأسود والغزير والذي تم تسريحه مسبقاً ، وفي اليد اليسرى مرآة ذات مقبض تعكس صورتها المعكوسة "

وأضاف د. خليل المقداد في الوصف بقوله " كما تظهر فينوس عارية كلياً باستثناء الفخذ الأيمن المحضون في رداء شفاف بمظهر شرقي ، كما رسم الفنان فينوس نفسها ونسجها بمظهر شرقي من : إكليل – طوق – أساور أيدي – خلاخيل أذرع وأقدام وشريطة زخرفية توشحت بها الإلهة على شكل قلادة فوق العنق وفوقها ملاكان محلقان يمسكان برداء منفوخ في الهواء . وفي الوقت نفسه تسبح محيطةً بأرجلها أسماك الدلفين فوق عمق رملي من رمال البحر .

وجاءت اللوحة بشكل مبتكر وجميل بوساطة سلسلة منسقة وغنية جداً في تدرج الألوان بأسلوب بديع في التنسيق بين اللون الأسمر القاتم والوردي مع الزرقة

الشفافة واللون الوردي الفاتح مع لؤلؤيات منفذة بدون نتوءات ظهرت باللون الأسود المنفذ فوق اللون الأبيض جاء على شكل إطار للمشهد ، وظهرت أيضاً شخصيات على شكل بحارة وهم خدم فينوس أحدهم شاب وغير ملتحٍ ، والآخر ملتحٍ مع إشارة القرينة البحرية " .

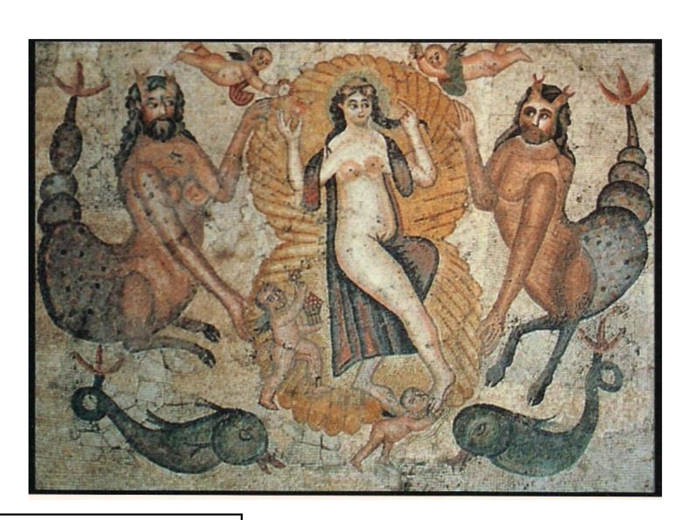
في هذه اللوحة تظهر فينوس وهي جالسة بشكل المواجهة وبنظرة أمامية ثاقبة داخل صدفة عالية فوق أرضية تمثل ظهور بطات مكسية بالريش وتفرش أرجلها يميناً ويساراً ، وقد فرشت الصدفة خلف فينوس بوساطة شخصين كل واحد منهما يمثل قنطورس برزت من رأسه قرون مزدوجة كرمز للقرينة البحرية .

وفي أسفل اللوحة ومن كل جهة اليمنى، و اليسرى ظهرت إلهة من الآهات الينبوع Nymphet نمفة وهي تمتطي حيواناً بحرياً الأول على شكل لبوة والثاني على شكل عنقاء ، وبرزت في الوسط شخصية عاشق مجنح على شكل ملاك يطير فوق ظهر سمكة وهو يمسك في لجام القنطورس .

**

ننتقل إلى لوحة مشابهة لهذه اللوحة المكتشفة في صرين (Osrhoene) وترقى أيضاً إلى القرن الثالث الميلادي لا تختلف عنها كثيراً وكأنها هي بالذات أو أن الفنان الذي أنجز هذه قد أنجز تلك أو العكس ، هي أيضاً فينوس تولد من قلب الصدفة وهي عارية ، يحيط بها الدلافين والكائنات الخرافية / قنطوريوس لكن في شهبا هما في الأسفل يمسكان بالصدفة وهنا هما في الأعلى يمسكان بالصدفة

(الصورة)



الصورة لوحة أفروديت البحرية(فينوس)من صرين- متحف حلب

هنا الدلافين في الأسفل وفي شهبا لا يوجد دلافين ولكن في الاثنين ايروس إله الحب ،في شهبا اثنان، وهنا أربعة ،إثنان في الأعلى، أحدهما يقدم لها مرآة وفي شهبا المرآة في يدها ، واثنان في الأسفل أحدهما يداعبها في قدمها / يدغدغ والآخر يقدم لها باقة ورد الحب لكن تظل لوحة شهبا أجمل لوجود إطار لها في أشكال بيضوية متصلة، ومختلفة الاتجاه، بينما لوحتنا هنا إطارها مفقود

**

وفي الشمال الإفريقي اكتشفت لوحات تمثلها ففي مدينة شرشال الساحلية في الجزائر في هذه اللوحة تظهر فينوس وهي جالسة بشكل المواجهة و بنظرة أمامية ثاقبة داخل صدفة عالية فوق أرضية تمثل ظهور بطات مكسية بالريش وتفرش أرجلها يمينا ويسارا ، وقد فرشت الصدفة خلف فينوس بوساطة شخصين كل واحد منهما يمثل قنطورس برزت من رأسه قرون مزدوجة كرمز للقرينة البحرية . وفي أسفل اللوحة ومن كل جهة اليمنى و اليسرى ظهرت آلهة من الاهات الينبوع نمفة وهي تمتطي حيوانا بحريا الأول على شكل لبوة و الثاني على شكل عنقاء ، وبرزت في الوسط شخصية عاشق مجنح على شكل ملاك يطير فوق ظهر سمكة وهو يمسك في لجام القنطورس .

**

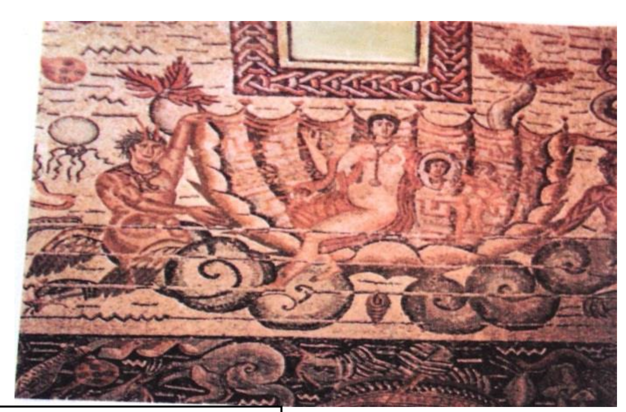
وكذلك مدينة تمقاد بالجزائر وجدت لوحة فوق أرضية ناصعة البياض ظهرت فيها فينوس عارية الجسم باستثناء فخذها الأيسر ، وهي تجلس فوق مؤخرة حيوان القنطورس البحري ، والذي ظهر كبير الحجم وضخم المظهر ، أما القسم العلوي من جسمه و الذي يشكل الجذع فقد ظهر على شكل

رجل عملاق مفتول العضلات وخاصة عضلات الصدر والذراعين ، أما الرأس فقد اكتسى بلحية كثيفة و طويلة ويعلوه تاج إكليلي مقوس على شكل أزهار مجدولة ، وظهر وجهه بوضوح وبنظرة ثاقبة وعينين براقتين .

وقد جلست فينوس على مؤخرته وقد فرش تحتها رداء قماشي يسترسل حتى الأرض بلون احمر غطى فخذها الأيمن قسم منه ثم تدلى إلى الأمام و الخلف ، ومن الجهة اليسرى من فينوس ظهر قنطورس بحري آخر بجسم مفتول و قوي وممشوق و ذو عضلات قوية وصلبة ورأس منتصب تعلوه قرون مزدوجة كرمز للقرينة البحرية ، وقد ظهر وجهه على شكل شاب يافع ذي قسمات جميلة ومنمنمة وعيون براقة ينظر بهما إلى فينوس بنظرة الحذر و الخوف على الآلهة من أخطار الحيتان البحرية التي تسبح حولها . كما ظهرت فينوس وهي تمسك بيدها اليمنى وهي تلف ذراعها فوق رأس القنطورس الكبير الذي تعتليه اكليلا من الزهور وتضعه فوق رأسه ، بينما تمسك في يدها اليسرى ازارا ورديا من الجهة اليسرى بينما يمسك القنطورس الكبير بالرداء من الجهة اليمنى في يده اليمنى أيضا . وتحت هذا الرداء تنتصب فينوس رأس شامخ وسط هالة دائرية جميلة .

وجاء تنفيذ المشهد الجميل و العجيب بشكل عام وسط وفوق سطح مائي أشير إليه بخطوط أفقية خضراء ، كما تخلل المنظر سمك الدلفين حيث ظهر واحد منها وهو يسبح تحت قوائم القنطورس الكبير بالإضافة إلى اسماك أخرى مختلفة تحيط بالمشهد .

**



الصورة لوحة فينوس في الصدفة-الجزائر مدينة جميلة –متحف جميلة(عن كتاب مقداد)

ويبقى أن نعرض هنا اللوحة الثالثة، و الأخيرة و التي تعتبر الأقرب إلى لوحة مدينة فيليبوبولس من حيث الباعث و المضمون و الإخراج رغم وجود العديد من الفوارق التفصيلية . وجاءت هذه اللوحة من إحدى صالات حمامات مدينة جميلة في المنطقة الجبلية الداخلية من المنطقة الشرقية في الجزائر وغير البعيدة عن مدينة تيمقاد . حيث جاءت ضمن سلسلة لوحات فسيفسائية غطت أرضيات الصالات و الأروقة و الأحواض ، ومن هذه اللوحات لوحة تواليت ،أو تزيين، وتبرج فينوس .

فقد ظهرت فينوس بمظهر الفتوة و الشباب وهي تجلس وسط صدفة ،وهي عارية الجسم باستثناء فخذها الأيمن يزين عنقها طوقان مزدوجان ، الحلي احدهما يلتف حول الرقبة والآخر ينسدل على الصدر ليقترب من السرة . ورأسها منتصب وممشوق يكسوه شعر كثيف صف بانتظام وقص على شكل قبعة خالية من الجدائل المسترسلة على الأكتاف كما ظهرت به في لوحة مدينة شرشل . كما ظهر في اللوحة ثلاث شخصيات من خدمها ، اثنان يمسك كل واحد منهما في طرف من أطراف الصدفة بينما الثالث والذي ظهر قصير القامة فقد مسك بيده اليمنى مرآة تعكس صورة افروديت . ويعلو المشهد التشخيصي إطار مجدول بجدلات متداخلة ،أخذت فيه

الجدلات ألوان اللوحة نفسها ، وفي داخله أيضا إطار على شكل شرط خال من الزخرفة يحيط بمرآة خالية من أي شكل يذكر ، وبشكل عام جاء المشهد كأن فينوس في صالة تزيين جميلة ،وبديعة يحيط بها عالم بحري غني بالأشكال والمظاهر الأسطورية .

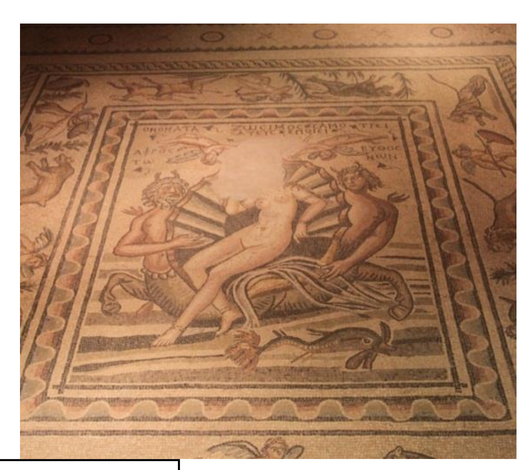
**

كما تبدو المقارنة المشابهة واضحة أيضا بين لوحة فينوس في مدينة فيليبوبولس ومدينة بيلا رجيا في المنطقة الشمالية الغربية من تونس و التي تقع في محيط منطقة غنية بالمدن و المواقع الأثرية ومنها مدينة شمتو، و دوقا ، تلك المنطقة التي يزيد في غناها وازدهارها النهر العظيم الذي يجري في وسطها نومقلع الرخام الممتاز الذي كان لا يصدر إلا بأمر من الإمبراطور ، حيث كان التصدير يخص المدن الهامة والأبنية العريقة في الإمبراطورية ، ومن مدينة بيلا رجيا التي تتوسط هذه المنطقة والمدن ظهرت شخصية فينوس من خلال لوحة بديعة تزين إحدى صالات الأبنية الهامة . وقد صورت فينوس في هذه اللوحة وهي في وضعية الجلوس مع انحراف نحو الجهة اليسرى كما جاء عرضها في لوحة مدينة شهبا ، كما ظهرت عارية باستثناء الفخذ الأيسر بينما جاء الفخذ الأيمن مكشوفا ، وقد جاء رأسها بشكل جبهوي مظلل بتاج ومحاط بهالة فخمة ، كما جاءت جمة الشعر التي تكسو الرأس منظمة بتوزيع مقسم بشكل متساو ومنتظم على شكل ضفائر يظهر قسم منها فوق الجبين والجبهة ، بينما ينتثر بحرية وطلاقة من الخلف وينسدل بحرية أيضا فوق الأكتاف وهي بذلك تتشابه في تسريحتها مع فينوس شهبا ، وتظهر أيضا متبرجة بالمجوهرات نفسها التي تبرجت بها في مشهد شهبا ، كما جاء التشابه في مظهر العاشقين أو الملاكين اللذين يحملان الأردية .

**

وبشكل عام بدت عمليات التشابه بشكل واضح بين جميع الوجوه التي ظهرت بها فينوس حيث ظهرت الرؤوس بحركات متشابهة ، وكذلك النظرات المباشرة وخطوط الرقبة و العنق ، والإيماءات وحركات الأذرع ومظهر السيقان و الأرجل بحيث جاءت إحداها فوق الأخرى ، واحدها مطوية و الأخرى ممدودة ، والأفخاذ احدها مكسي و الآخر مكشوف ، و الأجسام جميعها عارية وغنية بالمجوهرات ، وكل ذلك جاء من خلال حس مرهف وشفاف وناعم وشفافية عالية اظهر جسم الإلهة بشكل رشيق ومطاط يتناسب مع الرأس و الوجه ، مكسيا بالطراوة و الليونة و الرشاقة و النظرة التعبيرية الحادة و القوية ، ناهيك عن الأردية القماشية و الصوفية الناعمة .

نعود إلى لوحة أخرى في متحف عينتاب في تركيا التي تظهر لنا واضحة المعالم قي خروجها من الصدفة،والقنطوروس البحري الذي يحيط بها ،والجو البحري في وجود السمك ،والإطار المتموج ،والحد الخارجي الذي يعرض الحيوانات المختلفة(الصورة)



الصورة لوحة صدفة فينوس في متحف عينتاب-تركيا-القرن٣م

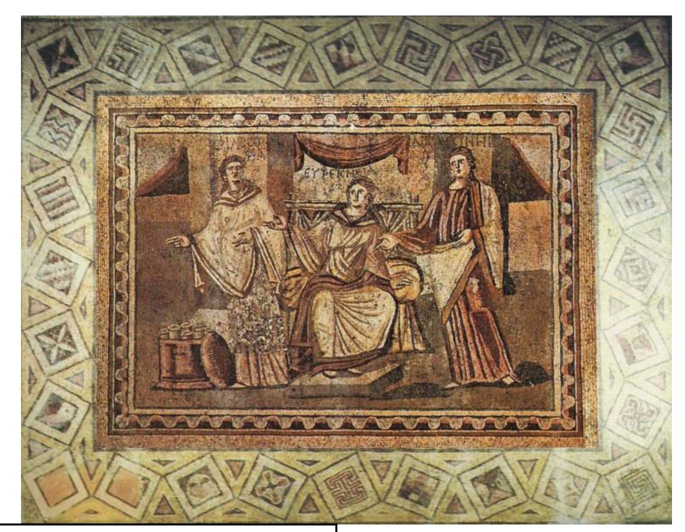
خلاصة القول: لقد بدت فينوس مدينة فيليبوبولس واحدة من حوريات البحر الحقيقية و التي روتها الأساطير من خلال الميثولوجيا الإغريقية، و الرومانية أنها أنثى بنات اله البحر التي تتوسط الموكب البحري الجليل و المهيب إضافة إلى كونها إلهة الحب ،والجمال التي ولدت من زبد البحر، ومن هنا جاء اسمها في اليونانية افروديت ،و التي تعني زبد البحر، والتي ظهرت أيضا في لوحة مدينة لامبيس القريبة من مدينة تيمقاد بمسافة ٢٠ كم والتي كانت مركز مقر الفرقة الثالثة للجيش الإمبراطوري الروماني والتي نفذها الفنان المشهور على مستوى الإمبراطورية اسباسيون .

**

٦- لوحة العدالة ،والتربية، والحكمة

هي في المتحف الوطني بدمشق نقلت إليه بعد اكتشافها في شهبا في المنزل الذي أطلق عليه اسم منزل المأدبة /الوليمة/ بقياس ٣٣١×٤٢١سم على شكل مستطيل يحيط به عدة إطارات بألوان مختلفة تبدأ من البسيط إلى المزخرف بنتوءات مستطيلة حمراء ثم فراغ أبيض الشكل إلى الإطار الخارجي الذي يضم مربعات عليها رسوم وجوه وأشكال هندسية داخل مربعات ثانية بينها معينات بألوان مختلفة الحمراء والبيضاء والأبيض السكري وكأنها تتحرك لتضفي جمالاً على المشهد الداخلي الرئيسي في هذه اللوحة التي تضم ثلاث نساء عُرفن من خلال كتابة الأسماء فوق رؤوسهن بلون أزرق غامق.

إلى اليمين فتاة محتشمة بعباءة حمراء وتدعى فيلوسوفيا Philosophia والتي تعني محب الحكمة باسطة يدها نحو الوسطى والتي تدعى أوتكنيا Eutekn(e)ia وتعني ظاهرة الإنجاب الجيد (التربية)، تجلس على أريكة خشبية فخمة أيضاً، هي ترتدي زياً محتشماً وتلتفت نحو اليسرى والتي تدعى ديكايوسينه Dikaiosyné وتعني (العدالة) يتقدم الثلاث إلى اليسار طاولة دائرية فوقها طاسات وقوارير أو هدايا، وفي الخلف ستارة حمراء لتتناسب ألوانها مع لباس الأولى والزخرف الإطاري.



الصورة لوحة العدالة والحكمة-شهبا –
القرن٣م-في المتحف الوطني بدمشق

نلاحظ وجود قارورة أو جرة (حمراء الشكل) بجانب الطاولة ولعلها وعاء فيه نبيذ، هن في حالة سرور ونشوة يتبادلن الهدايا والحديث الشيق والضيافة، وترى (بالتي) أن" اللوحة توحي جيداً إلى مثالية تعليم الأطفال الذين ولدوا من الزواج المذكور، كما تشير اللوحة إلى أهمية تربية الطفل بايديا على الهلينيين"

****

الصورة جزء من لوحة العدالة والحكمة



لوحة فسيفساء تحتوي على مشهد رمزي حيث نرى ، اوتيكنيا التي تجسد السعادة والأطفال . جالسة على العرش في الوسط وإلى يسارها تقف الفلسفة ،وأمامها سلة مليئة بلفائف ورق البردي، وإلى يمينها تقف دياكوسيف، أو العدالة . الوان اللوحة هي البنفسجي والأحمر الرماني، والأصفر، والأسود .

**

٧- لوحة الفسيفساء (تمجيد الأرض – أيون Aion)

اكتشفت هذه اللوحة في شهبا ، وهي الآن في متحف دمشق.

أبعادها ٣,٣٧×٢,٧٦(٢×١,٤٢) م

اللوحة تمثل ميثولوجيا إغريقية فـ إلهة الأرض جي Ge أوجيا Gaia هي إلهة تجسد الأرض الأم ومقدمة الغذاء للعالم، و أيون هو رب الزمان .. وهناك لوحة تمثل الأرض في متحف أنطاكية ..

ميزات هذه اللوحة تعدد الآلهة فيها ، ورمزها للحياة الأرضية في الفصول الأربعة (وكذلك في متحف أنطاكية لوحة تمثل الفصول الأربعة) ، وقد كانت أيضاً في تراثنا القديم أتارغاتيس (لها معبد كبير في منبج) تمثل إلهة الخصب وصدرها عارٍ ، وجالسة وبيدها قرن الخصب، ومحاطة بملائكة صغار مع الفواكه والثمار ..

وهنا في الوسط للأسفل نشاهد جي (اتارغاتيس) جالسة تجسد الأرض ، وهناك تمثيل للإله بسيشه الذي يرمز إلى روح الإنسان ، والإله بروميثوس

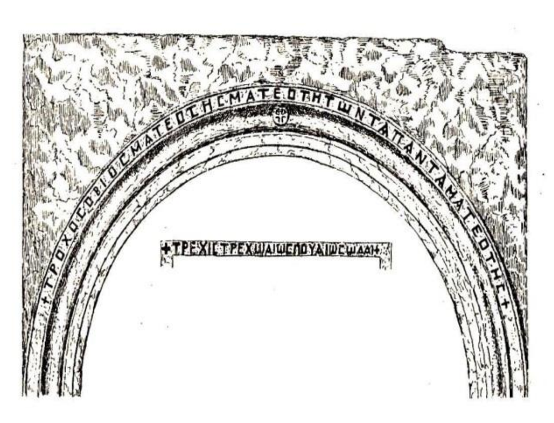
الذي خلق أول إنسان من طين (مصدره الأرض) ، وكذلك الإلهة جورجيا ممثلة الزراعة ، كما أنها عرضت للإلهة كاربوا إلهة الفواكه .

نعود إلى الحديث عن الإلهة جي في الوسط بأسفل اللوحة على شكل إمرأة عارية في الجزء العلوي ، والسفلي مكسو برداء شفاف فاتح اللون ،و هي جالسة على الأرض وعلى رأسها تاج غني بالأزهار كرمز للخصوبة ، وهي محاطة بأولادها الأربعة الصغار وتحتضن بيدها قرن الخصب المليء بالفواكه وخاصة العنب المتدلي ،يمثل الإنتاج الأهم في حوران بعضهم قال إن الأولاد الأربع يمثلون الفصول الأربعة ، وآخرون قالوا إن الفتيات الأربع خلفها يمثلن الفصول الأربعة – اثنان من الأولاد يحملان طبقاً أحدهما فواكه والآخر طاس أو إبريق وفواكه " يطلق على احدهم اسم كاربو أي آلهة الفواكه " ، ممثلة الفصول .

في الوسط شخصيات أخرى منها جورجيا ربة الزراعة خلف جي وابنها، وهي برداء شفاف يستر نصف صدرها وترتدي قبعة ، وأما الإله تريبتوليم فهو إله جني المحاصيل واقفاً خلفها مرتدياً قبعة ناظراً إلى جورجيا وفي يده مقود الثور ، وأما ايون عرف من خلال اسمه على شكل رجل في العقد الرابع ذو جسم شبه عارٍ مفتول العضلات جالس على حجر مربع وعليه اسمه ، فوق رأسه عصابه وعلى كتفه الأيسر رداء وفي يده اليمنى دولاب (أوعجلة البروج) يمثل الزمن ، وفي آثار محافظة ادلب الكثير من النقوش

التي تمثل الزمن كتعبير (وما الحياة إلا دولاب) كالنقش بدير سنبل في جبل الزاوية –محافظة ادلب

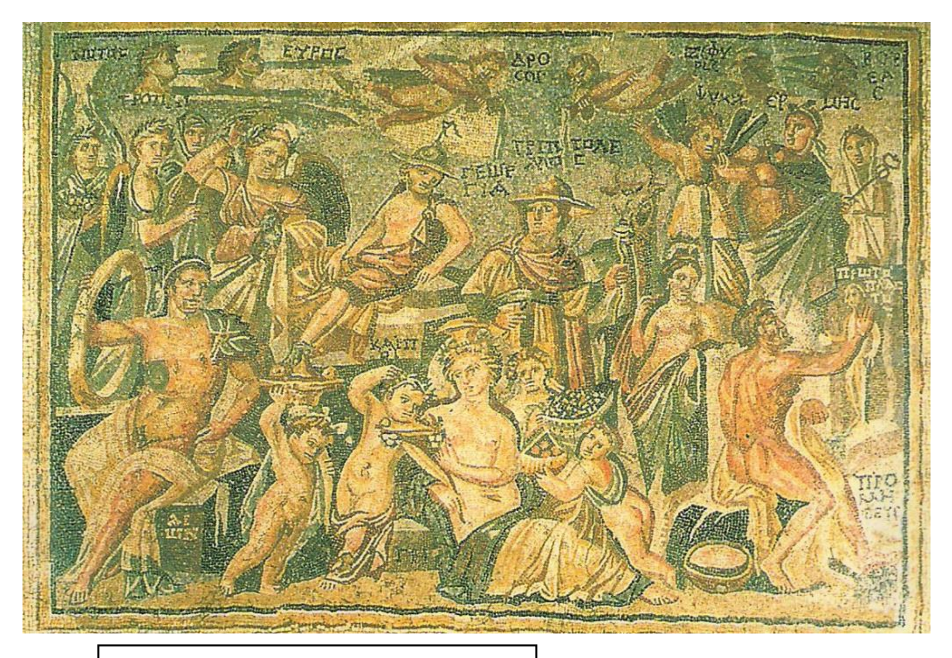
في الأعلى إلى اليمين هناك صورة الإله هرمس إله الطرق والتجارة واقفاً وفي يده اليسرى صولجان القوى ، حول رأسه منديل ومعصوب الرأس بعصابة لمنع الريح من التلاعب بشعره أثناء تحلقه ، أما جلبابه فليساعده على الطيران ، وإلى يمينه الإلهة بسيثسه التي ترمز إلى روح الإنسان وهي منصبة وتنطلق من كتفيها أجنحة ، لتساعدها على الطيران . وأما افروديت إلهة الحب فقد ظهرت على شكل إمرأة شابة ، صدرها عارٍ ، متكئة على صخرة ، تظهر مفاتنها في الجسم الرشيق والعينين نحو بروميثيوس تراقبه وهو يبدع تمثالاً من طين الأرض .



الصورة- دير سنبل كتابة المدفن وما الحياة إلا دولاب وما متعها إلا زيف بل كلها زيف

Gea /Gaia جيا / غايا/ جي هي الأرض الأم التي انبثقت من الخواء الكوني، ثم كونت السماء فشكلت معه أول زوجين إلهيين ،ولد منهما أكثر الآلهة والكائنات الأسطورية، هي تمثل الخصب في كل شيء كما تحمي تكاثر النوع الانساني، عبدها الرومان تحت اسم تيلّوس، واختطلت عبادتها بعبادة ديمترا آلهة الحصاد وسيبيل (الأم العظمى) وهي في العصر الكلاسيكي إحدى الآلهة السفلية، وقد مثلها الفن القديم على هيئة امرأة

كاسية تخرج من الأرض. يوجد لها نقش بارز على الواجهة الغربية للبانثينون يمثلها جالسة وفي حجرها طفل هو تالاسا (البحر) وكانت تمثل بشكل أم ومن لوازمها الأفعى وقرن الوفرة وبعض الأزهار والثمار. في الأعلى رؤوس أطفال تنفخ الهواء لتمثل الرياح وتصب الماء دلالة على المطر والخصب والطل وهم زفير=زفيروس يمثل في أصله الريح الرقيقة ثم أصبح الريح الشديدة – أوروس (يوروس)– نوتوس من آله الرياح– بوتي .



الصورة لوحة تمجيد المصدر شهبا –
القرن٣م-في متحف دمشق

هنا تشخيص للأحوال الطبيعية في رأي الأستاذ شاربونو أن الصورة التي تمثل الرب أيون هناك **صورة لفيليب العربي** بقربها ، بينما رأي (جانين بالتي) " إنها من أشهر لوحات الفسيفساء في شهبا ، وتعود إلى العصر نفسه ، وهي ذات مضمون فلسفي ،

ومن أصعب لوحات الفسيفساء في تحديد تاريخها ، وتعتبر عملاً من أيام فيليب العربي الذي نراه أحياناً في شخص أيون ... " .

كل أحوالها .

**

**

وأخيراً يمكن القول :هي من أعمق اللوحات التي تقدم عمقاً فلسفياً – دينياً ، وأكثرها في التشخيص **في عهد فيليب العربي** وترقى إلى منتصف القرن الثالث الميلادي ولكنها في حقيقتها عرض رمزي للأسطورة الإغريقية ، في تمجيد الحياة على الأرض ، في دوراتها الأربع ، على شكل أربع نساء مجنحات ، تحمل كل منهن رمز الفصل الذي تمثله . الأولى جدياً وهي ممثلة فصل الربيع ، والأخرى منجل حصاد ممثلة فصل الصيف ، والثالثة عناقيد العنب ممثلة فصل الخريف ، والرابعة اكتفى الفنان المبدع المثقف بتصويرها وهي تغطي رأسها بشكل كامل في إشارة إلى فصل الشتاء .

ذكر د. خليل المقداد في كتابه(الفسيفساء السورية والمعتقدات الدينية القديمة)ص١٩٤ أنهم ملائكة الحب المجنحين، وهذا التحليل مغاير للواقع فنحن في مشهد صيد ،وأما الحيوانات فقد مثلت في صورة وجه ثور واحد مربوط بحبل عند أنفه، وجدي صغير . وليس في مشهد غرام.



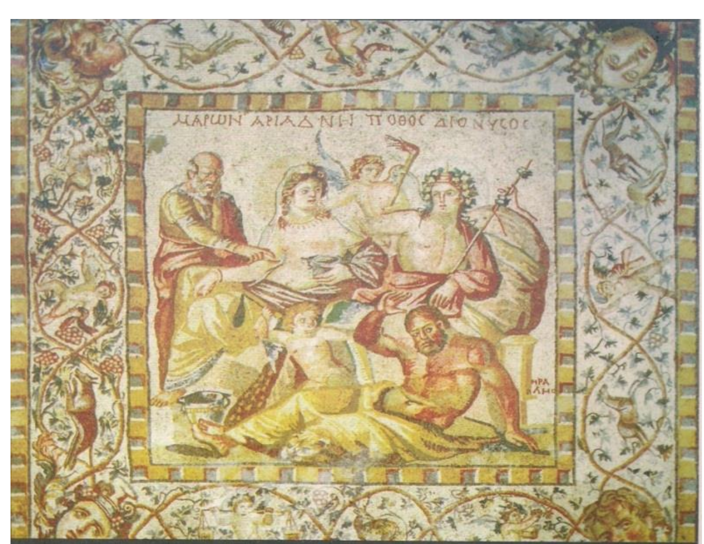
[illegible]

هناك لوحة أخرى (متحف انطاكية) ترقى للقرن ٥ م تظهر جي إلهة الأرض والخصب تمثل في امرأة وفواكه (الصورة   ) ولعل كثرة هذه اللوحات تقدم لنا مدى تأثر المنطقة وسورية بشكل عام من الشمال انطاكية إلى الجنوب (شهبا) بذات النظرة والثقافة الاغريقية التي سادت، رغم إغفال الكثيرين لهذه الثقافة وتأثيراتها، وهذه اللوحات دليل معاكس لما طرح سابقاً!!!

**

٨- لوحة ديونيسيوس ،والفصول الأربعة

الغرفة الثانية: تلي الأولى من الشرق أبعادها ٤,٨٠ × ٤,٦٣م وفيها لوحة تمثل عرس ديونيسيوس و أريان و الفصول الأربعة وعطايا الأرض. في الوسط مربع مزين برسوم وأريان ربة النبات ونديمه ديونيسيوس إله الخمر وبوثوس وهرقل إله القوة ويرتمي عند أقدام الإله ويرفع يده مستغيثاًوكأنه ثملاً. يحيط بهذا المربع إطار جميل مزين بحيوانات مختلفة وأشخاص بأوضاع تأهب للصيد وتحيط بها تزيينات نباتية وفي زواياها الأربع أربعة وجوه بشرية يمثل كل منها فصلاً من فصول السنة الأربعة: الربيع والصيف والخريف والشتاء وتقاسيم كل وجه تشير إلى الفصل الذي يرمز إليه فمثلاً الربيع يمثله وجه شاب نضر بينما الشتاء يمثله وجه كهل ملتح وهكذا..



..وتاريخها ٢٤٤-٢٤٩م

**

٩- لوحة زواج هيبوداميا

اكتشفت عام ١٩٦٠م في شهبا، ورممت في دمشق، ولتحفظ في المتحف الوطني بدمشق، وهي مربعة بقياس ٢.٢٠×٢.٢١م وهي أيضاً مثل لوحة اورفيوس تقدم لنا أسطورة الملك اونوماؤوس وابنته هيبوداميا والشاب بيبلوس لذلك تم اعتمادها لأهميتها الميثولوجية الكلاسيكية لدى منظمة LIMC الدولية والمهتمة بإعداد معجم للأساطير الكلاسيكية. إن أونوماوس Oenomaos هو ابن آريس إله الحرب وملك بيزا في مقاطعة الايليد ووالد الحسناء هيبوداميا، وقد ذكرت له إحدى النبوءات أن موته مقترن بزواج ابنته هذه ولذا أعلن أنه لن يزوجها إلا لمن يغلبه في سباق العربات حاول الكثير الفوز عليه ولكنهم أخفقوا غير أن بيلوبس تغلب عليه بحيلة، وبرشواته سائسه فألصق عجلات عربته على محورها بالشمع وفي أثناء السباق ذاب الشمع فانفصلت العجلات ومات أونوماوس تجره جياده، وهكذا استطاع بيلوبس التزوج بابنته. صورة السباق ظهرت على الآنية الاغريقية، وهناك نقوش بارزة تمثل السباق تزين الواجهة الشرقية لمعبد زوس في اولمبيا تعود إلى منتصف القرن الخامس ق.م.

في لوحتنا هذه تبدو لنا العروسة هيبوداميا وعلى رأسها منديل المتزوجات بلون الزعفران، وفي نهاية المخطط نرى صوراً لسباق انتصر فيه بيلوبس على اونوماوس وذلك بمساعدة السائس الخائن ميرتيلوس. وهنا يبدو الملك اونوماؤوس بن أدريس وهاربينا جالساً على عرش مملكة بيزا في منطقة ايليد اليونانية، تحيط برأسه هالة نور وفوق رأسه اسمه بحروف يونانية، وإلى يساره ابنته هيبوداميا الجميلة واقفة متدثرة بردائها الذي يغطي كامل جسمها مع رداء



الصورة لوحة الزواج –شهبا-القرن٣م-
متحف دمشق

آخر "شرشف يشبه نساء منطقة حارم شمال سورية" يغطي ثوبها الداخلي، كاشفة عن وجهها، وصدرها، ومحملقة نحو بيلوبس، وإلى يسار رأسها اسمها.

أما الشاب بيلوبس الماسك عصا أمامه فيعلو رأسه القبعة الفريجية، واسمه في القسم العلوي من اللوحة مشهد سباق العربات البدائي ضمن ملعب مع وجود علامة في أقصى يسار المشاهد تحدد نقطة انطلاق العربات، وعلامة أخرى مشابهة في أقصى اليمين لتحدد نهاية السباق. وفي اليمين يبدو الشاب بيلوبس وعروسه هيبوداميا بعد فوزه بسباق العربات وزواجه منها، بعدها أصبح ملكاً لهذه المنطقة اليونانية في مملكة بيزا وأطلق اسمه عليها لتصبح (بيلوبونيز) والمسماة حالياً بلاد الموره، واعتبر هو مؤسس الألعاب الرياضية الأولمبية من هنا وبرأي جاء اعتبار هذه **إحدى أهم الوثائق في تاريخ الألعاب الرياضية الأولمبية**، إضافة إلى وجود معبد باسم بيلوبين في بلاد اليونان.

جمالية هذه اللوحة ليست ألوانها الحمراء فقط، بل أيضاً توثيقها الألبسة فهيبوداميا تبدل لون لباسها الأول في يوم زفافها، إذ شابه اللون الأصفر ممسكة بيد خطيبها وزوجها الآن تأكيداً على قداسة الزواج، والحب المتبادل، بينما هو في لقائه الاول مع والدها ماداً يده يطلب الزواج منها، ولعله قد نفذ شروط والدها بأن يفوز في السباق ليحصل على زوجته مكافأة على انتصاره، أليست هذه العادة المتأصلة في تراثنا إلى وقت متأخر، لذلك فإني اعتبر هذه اللوحة تدخل في تراثنا الشعبي كوثيقة تراثية، رغم أنها أسطورة يونانية، فالشعوب تتمازج في ثقافاتها. يحيط باللوحة إطار بسيط من المكعبات الحجرية السوداء لتعطي حركية فنية جذابة، وكأننا حقاً أمام مشهد تمثيلي ينبض بالحياة. تؤكد اللوحة على تقدم الحياة ،وعمق الفكر الفلسفي، والنشاط الرياضي في عهد فيليب العربي والتي ترقى اللوحة إلى عهده .

١٠- لوحة أسطورة الخلق، والآلهة ،والتمثيل البشري

هي من مكتشفات شهبا بمقياس ٢.٧٢ X ٣.٣٠ م على شكل مستطيل ، تاريخها منتصف القرن الثالث الميلادي ، وهي في المتحف الوطني بدمشق . درست من قبل باحثين أجانب وعرب لأهميتها في أنها فريدة لاشتمالها على ذكر عدة آلهة لذلك أطلقنا عليها هذا الاسم ولاشتمالها على موضوع الطبيعة والأرض ، فالإله بسيشة الذي يرمز إلى روح الإنسان والإله بروميثة الذي خلق أول إنسان من طين ونشاهد صورته هنا ، والإله جورجيا ممثلة الزراعة والمرتبطة بالأرض ، والإله تريبتوليم المسؤول عن جني المحاصيل وصورة الثور كرمز لفلاحة الأرض ، والإله كاربوا آلهة الفواكه .. والحياة والخلق لن تكون بدون مسبباتها وتمثيلها على الأرض في أربع شخصيات من آلهة الرياح وهم زفير – أوروس – نوتوس – بودي ، ومثلت حياة الخصب والندى بملاكين بوتي ورب الزمان غير المتناهي أيون ، لذا ربطت بالفصول الأربعة كدورة الحياة الزراعية . كذلك يمكن إنها الأكثر تمثيلاً لمشخصات بشرية غير حيوانين ثور وجدي ، ويضاف لاسمها بأنها لوحة التمثيل البشري كونها عرضت أربع وعشرين شخصية في مساحة ٢ X ١.٤٢ م . عرفناها بكتابة اسمها ، معظم الشخصيات تم عرضها في اللوحات السابقة غير بروميثوس / بروميثيه في الميثولوجيا الإغريقية هو من خلق أول إنسان من طين وسرق النار من السماء لينقلها إلى الأرض ، عاقبه الإله زيوس بتكبيله ، ولكن هرقل فك وثاقه .



الصورة لوحة أسطورة الخلق ،والتمثيل البشري-شهبا-القرن٣م-متحف دمشق

صممت اللوحة على شكل مستطيل بإطار تزييني بسيط بينما الإطار الداخلي البيضوي الشكل أغنى من الأول ، والفراغات بينهما ملئ بتزيينات أوراق الشجر أو الأزهار يليهما أشكال بيضوية أو دائرية إطارها كالسابق بداخلها رسوم أشخاص ، وفي العمق دائرة يختلف تزيينها عن السابق وبداخلها شخص ... بقية اللوحة مفقودة .

**

١٠- لوحة فسيفساء الوليمة \ المأدبة :

هي إحدى اللوحات الأكبر في أبعادها ٦.٦٢ × ٦.٥ والأقدم في الكشف عنها في شهبا منذ عام ١٩٢٥ م . فقد جزء كبير منها وباق الأوسط على شكل دائري والثاني على شكل مربع تقريباً . في الأول سنشاهد عرضاً لمائدة طعام مستديرة يحيط بها شخصيات ذات مكانة وكما هو في لوحات انطاكية ، وهذا يؤكد على تزاوج المورستات في الشمال السوري، وفي الجنوب السوري و كما سيرد.

أما الجزء الثاني المحيط بها فقد جاء بدوره متنوع التشخيص ، فقد زينت الزوايا بصور آلهات النصر بحيث ظهرت في كل زاوية من الزوايا الأربعة واحدة منهن على شكل طائر مجنح بأجنحة تطير خلفها في الهواء الطلق وهي ترتدي لباس الحرب .

أما الجزء الثالث فتكون من الإطارات التي تحيط في كل جزء ، وقد جاءت بدورها على شكل أحواض ذات مسارات مزخرفة بزخارف موروثة ، ويعتبر هذا الأسلوب نوعاً من أنواع الإطارات ذات الأحجار الكريمة أو المصنعة بالجواهر . ويفصل الحوض المركزي عن المحتوى الخارجي إطار عريض تم تزيينه و إحيائه بضفائر مزدوجة تحدد في داخلها لوحات صغيرة على شكل مستطيلات مزينة أحياناً بتزيينات ذات بواعث هندسية ، وأحياناً ذات بواعث نباتية تتوسطها ثمار بارزة بمظهر لائق وجميل و أنيق .

وثمة أمر آخر ظهر من خلال هذه اللوحة، ويجب إبرازه، وهو ظهور أشكال الثمار، و البذور المنتثرة على الأطر والتي برزت بموجب عملية تلقيح أخرجها الفنان من خلال أنماط موروثة طبقت بشكل متواتر ، وهذا يعني أن الفنانين لم يكن همهم إبراز الشكل التشخيصي مع التوابع



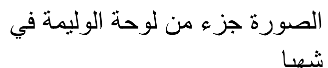
الصورة لوحة الوليمة-شهبا –القرن٣م-
متحف دمشق

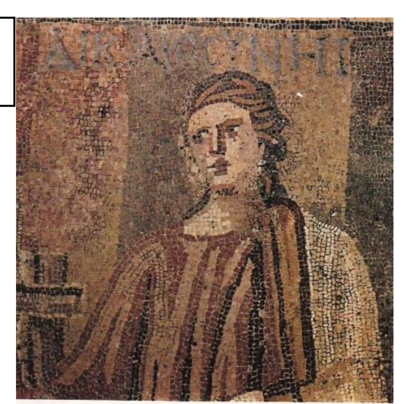
فقط ، وإنما على العكس فقد كان عملهم متوازنا بحيث يكون الاهتمام في جمالية اللوحة بشكل متكامل وتشمل كل جزء من الأجزاء من خلال الاهتمام الكامل بكل الأجزاء كاملة .

خلال العرض الموجود أمام ناظرينا أن أنواع اللحومات التي وضعت فوق السفرة ،هي لحومات تعود إلى حيوانات البط و الدجاج و الحمام و الحمام

القمري و الجدي، و أنواع مختلفة من الطيور و الخروف الصغير . وكذلك الخضراوات المتعددة سلال الفواكه الملیئة بأنواع مختلفة ومن إنتاج محلي صرف .

وأبدعوا في ملء أرضيات مثل هذه الصالات الكبرى، و التي كانت تعرف باسم التريكلينيوم،أي الصالة ذات الأجنحة الثلاثة، أو التريكلينيانوس، أو صالة الطعام ثلاثية الأسرة ،أو الأجنحة .


الصورة جزء من لوحة الوليمة في شهبا



وجاء عرض الشخصيات بطريقة تتناسب مع المأدبة ، ولهذا فمن جهة ظهرت هيئتهم في حالة الاسترخاء في الجلوس ، ومن جهة أخرى عبر الفنان بشكل جيد عن حالة البسط و السعادة التي كانت تكتنفهم في تلك اللحظة ، وهذا الأمر و بالطبع تطلب إظهار ما يقارب ثلاثة الأرباع من جسم كل شخصية .

ولكن هناك من بين الشخصيات التي صورت برزت صور أفراد بوضعية الانتصاب في الوقوف ، ومنها شخص ظهر في الجهة اليمنى واقفاً إلى جانب جرة كبيرة (أنفورة) وضعت فوق منصب ثلاثي المرتكزات أو الأرجل ، وقد عرض بوضعية الانحراف قليلا إلى الجهة اليمنى مرتدياً لباسه الريفي

المعتاد و المكون من قميص وجلباب قصير انكشف عن ساقيه ، وينتعل في قدميه صندلا ، بينما ينسدل من على كتفه وشاح طويل ويسترخي إلى الأسفل حتى مقدمة الأذرع ، وقد ظهر هذا العرض بالأسلوب نفسه الذي ظهر فيه الرجل وهو يتكئ على الأنفورة .

ولم يغب عن المشهد صور العبيد و الخدم الذين يقومون على خدمة الضيوف و أصحاب البيت وذلك حسب الطريقة المعتادة في المنطقة وفي الإمبراطورية في تلك الفترة ، وكما برز ذلك بشكل جيد من خلال لوحات الفسيفساء في فيلا سيلين بالقرب من مدينة لبدا الكبرى في ليبيا .

ولكن ابرز ما يظهر أمامنا في الصورة المعروضة ستة شخصيات جلسوا حول المائدة باسترخاء، وراحة تامة، ومطلقة، وبشكل مزدوج ، وقد توجب العرض هنا أن يخرجهم الفنان في وضعية الجلوس في شكل نصف دائرة بحيث توافق ذلك العرض مع القسم العلوي من اللوحة الدائرية ، بينما شغل النصف السفلي منها موضوع المائدة ، وبالطبع فهذا الأمر يدل على إخراج فني متقن .

كما برز من بين الشخصيات رجل تميز بمظهره الجميل، و المميز و الذي ظهر عليه من خلال لباسه الأكثر فخامة ، بحيث نجد أن جلبابه الأبيض المهيب جاء غنياً بالهدب، و الزركشة، و التي برزت من خلال اللون الأبيض المعرق بتعرقات أرجوانية ، وكذلك تميز بجلسته الخاصة و التي انعطف بها قليلا نحو رفاقه وهو يمرر يده اليمنى فوق محيط الأكتاف ، بينما يمسك في يده اليسرى أرنباً صغير .

وربما كان القصد من ذلك إبراز مشهد شهواني يعبر عن الغزل و العنفوان الجنسي و الذي كان القصد و الرمز من خلاله التعبير عن الخصوبة و المراعي سيما وقد ظهرت هنا صورة الامرأة الجميلة و المتميزة بشعرها

الطويل و العائم و المتموج وبلباسها الأنيق ومجوهراتها الغنية و التي ظهر منها الأساور و أقراط الأذن وهي في مظهر المواجهة مع انحراف قليل بالرأس نحو الجهة اليمنى .

وقد برزت الإثارة الرمزية هنا من خلال تقديمها إلى نديمها قدحا من الخمرة ، وهي بذلك تقلد أو تقتدي بالإلهة أريان نديمة الإله ديونيسوس اله الخمرة وهي تقدم له الخمرة بأقداح فاخرة و التي ظهرت فوق اللوحات الفسيفسائية في مدينة فيليبوبولس نفسها . ولكن زاد في العرض إثارة في هذه اللوحة ما تحمله في يدها اليسرى على شكل وردة مزهرة كعربون للمحبة وبيان قوة العشق لمن يقابلها .

وقد جاءت هذه العروض بشكل متتال ومتعاقب لتشغل الفراغات الحاصلة في الجهات اليمنى و اليسرى من اللوحة التشخيصية الدائرية بحيث شغلت هذه التفاصيل ما يقارب ثلاثة أرباع المسطح الدائري . وهنا نشاهد أيضا ملاحظة هامة وهي الاختلافات المميزة بالهيئة و الحركة لكل شخصية على الرغم من الانسجام في المشهد ، فمنهم من ظهر عليه مشهد اللهو و التسلية ، ومنهم من بقوا بدور المراقبة و المشاهدة ، وهذا يعبر بشكل واصح عن التموج و التنقل والحركة المستمرة و التي تعطي انطباعا بان مناسبة الطعام كانت عبارة عن دعوى اشهار لحفل

الزواج ،و تجديدها بشكل مستمر مع الحث على الإنجاب و حسن التربية .

ولو عدنا إلى تقاليد المنطقة في تاريخنا العتيق لوجدنا وليمة التضحيات المقامة في تدمر، بإعداد وليمة مقدسة في غرفة المائدة التي سيدخلها الكهنة الكبار وعلية القوم، ويدخلون إليها ببطاقات صغيرة من الفخار ...

وتصف المقاعد على شكل نعل الحصان وفتحته نحو الباب.. وكان للوليمة في تدمر دور أساسي في الحياة.(الصورة)

تدمر-نحت الوليمة-القرن٣م[اكتب اقتباساً من المستند أو من ملخص نقطة هامة. يمكنك وضع مربع النص في أي

.



أما لوحة فسيفساء الوليمة / المائدة في متحف أنطاكية والتي هي في أصلها من دافني جنوب أنطاكية بـ ١٠ كم والمسماة الآن حربية ترقى لأواخر القرن ٢م أو مطلع ٣ م . تشتمل الفرشة على حقلين.. يحيط بالقرص أطباق فضة فيها مشهيات كـ خرشوفتين وساقي خنزير وبيضتين مسلوقتين موضوعتين في قدحيهما وفي طبق سمكة إلى جانبه رغيفان مستديران وآخر فيه شريحة كبيرة من لحم الخنزير المقدد ، وإلى جانبه رغيف مستدير في أمامية ...



جزء من لوحة المائدة–متحف أنطاكية

**

١٢- لوحة أرتميس في الحمام

هي من مكتشفات شهبا من القرن الثالث الميلادي وموجودة في متحف السويداء بمقياس ٤،٣٠×٤،٣٠ م أي مربعة الشكل في إطاريها الداخلي والخارجي ،وهي إحدى أروع اللوحات في تراثنا في الألوان، والتزيينات، والمشهد الداخلي، وكأنك أمام فيلم سينمائي (تلفازي مرئي يعرض أمامك).

من هي Artemis ارتميس لنصنع لهامثل هذه اللوحة؟!

هي ابنة الإله زيوس في الميثولوجيا الإغريقية يماثلها الإلهة ديانا Diana في الميثولوجيا الرومانية، كما أنها شقيقة أبولو الإله الذي مثل في عدة لوحات فسيفسائية خاصة لوحة أبولو

الصورة لوحة أبولو يطارد دافني –متحف أنطاكية-٢٥٠/٢٧٥م



يطارد دافني (في متحف أنطاكية)

أرتميس هنا ،وهي ربة الصيد تستحم قرب نبع دافق مع بعض حوريات الماء. عرف اسمها في كتابة منقوشة فوق رأسها وكذلك الحوريات (نمفي) في كتابة أسفل الحورية اليسرى وفوق اليمنى. أ

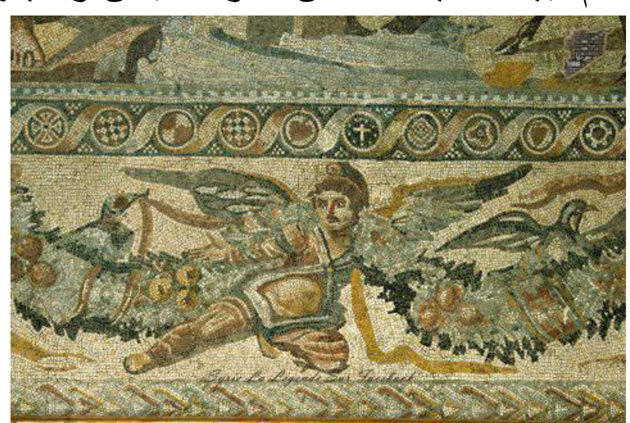


الصورة –لوحة أرتميس في الحمام-
شهبا-القرن٣م-متحف السويداء

أرتميس هنا عارية تماماً طالما هي في حالة استحمام ولكنها في كامل حليها في يديها ورجليها وجيدها وحتى شعرها، جالسة في حالة القرفصاء تستر عورتها بيدها اليسرى ورافعة اليمنى نحو الصياد أكيتون الذي يبص حولها وكأنها تحاول رده عنها، وهو شبه عار يلتف اسفله برداء يوناني الشكل وعلى رأسه قرنان مصطحباً قوسه ونشابه على كتفه الأيسر، وفي الأعلى إلى اليسار هناك رسم لشاب نصف عارٍ بلون داكن ولعله أحد خدمها ماداً يده لإنقاذها، بينما الحوريتان العاريتان تنظران إليها وإحداهن مادّة يدها لمساعدتها، وأخرى في الزاوية اليمنى مرتدية لباسها تناظر الخادم فلا بد أن تكون أيضاً إحدى خادماتها! لنعود إلى أرتميس ثانية ،وهي تستحم بين الينبوع والصخر فقد رسم تحتها ومن حولها باللون الأحمر، والأرجواني بشقوق كمسالك لجريان المياه، وأمامها ذلك الحيوان الأليف ناظراً إليها، مثل هذا

المشهد له ما يماثله في لوحة حوريات الماء (في متحف انطاكية) وهن يستحمن بمياه العاصي، أو شلالات دافني جنوب انطاكية، ولكن هذه اللوحة هي إحدى أعظم وأجمل اللوحات في سورية، بل في العالم بإطارها الداخلي والخارجي. إننا أمام صنعة فنان ماهر في الشكل والمضمون حين رصفه هذه السجادة الجميلة فلم يكتف بإطار واحد، ككثير من اللوحات، بل هو هنا قدم لنا ورشة عمل باهظة التكاليف غنية بالزخرف ورسم المشاهد، أما الإطار الداخلي المؤطر بحركة ملتفة كزنار حول أشكال كروية مختلفة ترمز لأغنى الأشكال من بلورات ونجوم وصلبان ولآلئ ووريدات ورسوم هندسية قل مثيلها في العالم من بين الأطر المتعارفة!!!

أما الألوان فأيضاً هي الأغنى في هذا الإطار الثاني والأعرض ففيه خصائص مدرسة فنية خاصة بشهبا، الذي يضم ثمار المنطقة (عنب) وطيورها المختلفة (طاووس، حجل، حمام) كلها توزعت حول ضفيرة مشكلة زناراً موزعاً على شكل قائم، بينه ثمانية أشخاص مفتوحة البطن وجميعها تتجه نحو اليسار ،أو اليمين



الصورة-تفاصيل إطار لوحة أرتميس في الحمام

وكأن شيئاً يلاحقها، إذ لها أجنحة تطير بها، ولعلها ترمز إلى فحوى الأسطورة في أن اكيتون حين نظر إليها تحول إلى وعل تلاحقه كلاب الصيد التي كانت ترافقه، ولكن هنا هو قد تدثر وانطلق هارباً من الملاحقة، وكأن الفنان قد أشفق عليه وأراد تعديل العقوبة بحقه، فلم يظهره لنا غير إنسان جميل الشكل يطير بين الريف، وثماره ،وطيوره. ألستم معي في أنها إحدى أجمل لوحات العالم طراً!

* *

١٣- لوحة الصيد/ الأغصان، والملائكة الصغار

من شهبا، وهي في متحف السويداء ، وبعض أجزائها الأصلية مفقودة ، ترقى إلى القرن الثالث الميلادي ، إطارها التزييني بعرض ٦٠ سم مزين بأزهار الأكانت . قسمت اللوحة إلى ثلاثة عروض :الأول يمثل مشهد صيد للطفل المجنح(بوتو) يمسك قوساً ليصطاد حيواناً في غابة كثيفة..

الثاني يمثل مشهد صيد للطفل المجنح (بوتو)يطارد غزالاً ،وإلى اليمين حيوان يشبه الكلب..في الوسط شخصية أسطورية الثالث يمثل مشهد صيد للطفل المجنح (بوتو) يمسك درعاً يصوبه نحو الفهد..إلى

اليمين شخصية اسطورية تمثل المرأة... يمثل الإله ديونيسيوس والإله أريان في تنفيذ نشاهده كثيراً في لوحات الفصول الأربعة . فالمرأة هنا متقدمة بالسن ولكنها ثرية بمظهرها والمكسو رأسها بغطاء نباتي (الكالاتوس) وقد مثل الإله بلوتوس إله الغنى والثراء به في ذات الشكل الذي هي هنا ممثلة به .

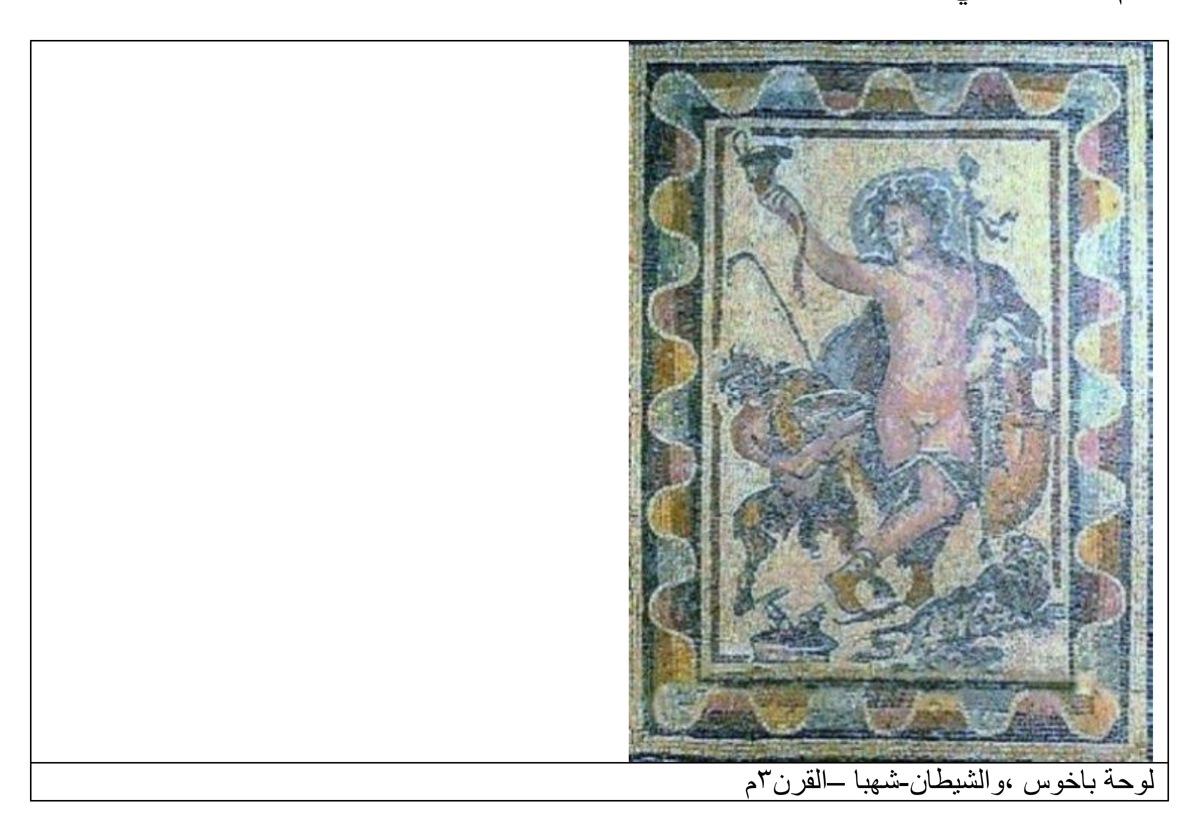
الصورة لوحة الصيد من شهبا-ق.٣م-متحف السويداء



الصورة-تفاصيل من لوحة الصيد

١٤- لوحة باخوس، والشيطان:

هي في شكل مستطيل قائم. يظهر باخوس (الخمر)عارياً، وماسكاً القرن باليد اليمنى، وباليسرى رمح، وعلى ظهره عباءة بجانبه الشيطان يغريه أو يقدم له شيئاً، تحته نمر، وعلبة فيها أدوات . إطارها على شكل صدف متواصل بألوان يغلب عليها الأحمر والأزرق والأصفر. مثل إطارها في لوحات أنطاكية ترقى إلى القرن ٣م. مكتشفة في شهبا -متحف شهبا.

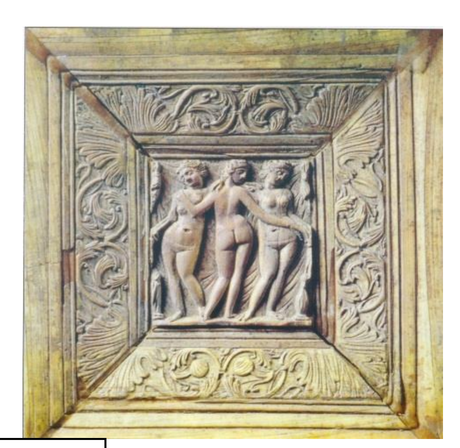


لوحة باخوس ،والشيطان-شهبا –القرن٣م

**

١٥- لوحة النعم الثلاث ،والفصول الأربعة

هذه اللوحة المكتشفة في شهبا لها تسميتان(النعم الثلاث) نسبة إلى ربات النعم الثلاث في رموز تراثنا العتيق، أو(الفصول الأربعة) أيضاً وهناك لوحات تعبر عنها. إن رقم٣ له قدسيته حتى قبل الإسلام والمسيحية ،فقد اكتشف في عدة مواقع رسوم ونحوت في آثار الجولان في علبة تجميل ترمز لهن.



الصورة لوحة النعم الثلاث-المصدر
خسفين في الجولان-القرن١م-متحف دمشق

في التراث الإغريقي هناك آلهات للحسن في بطانة افروديت والدهن زيوس مهمتهن نشر الفرح في أنحاء العالم وفي قلوب البشر، وبعد أن كان عددهن تسع أصبحن ثلاث أغلايا ويوفروسينة وثاليا رافقن افروديت ويساعدنها في تبرجها، حتى تمكنت الآلهة من خدماتهن كلما رغبت في أن تتلبس أسلحة الإغراء كافة، يبدأ ظهورهن مع عودة الربيع ولتظهر ثاليا تخرج الأزهار ناشرة الفرح بقدومه، والصيف بشمسه سيظهر في رسم يوفروسينة والتي تبهج القلب، في البداية كن يرتدين أثواباً طويلة ويضعن

تيجاناً، ولكن بدءاً مع نهاية القرن الرابع قبل الميلاد أصبحن يمثلن كثلاث صبايا عاريات تمسك كل منهن بالأخرى من الكتف، وهن يرقصن.

**

في الزاوية الغربية الشمالية عرضت لوحة لم تكن أصلاً في هذا المكان، أي أنها دخيلة على الدارة ولكنها كانت قد وجدت في شهبا، ووضعت في هذا المكان بعد أن تم ترميمها في المعمل الفني في مديرية الآثار والمتاحف بدمشق ،وهي تصور النعم الثلاث ممثلة بثلاث نساء في

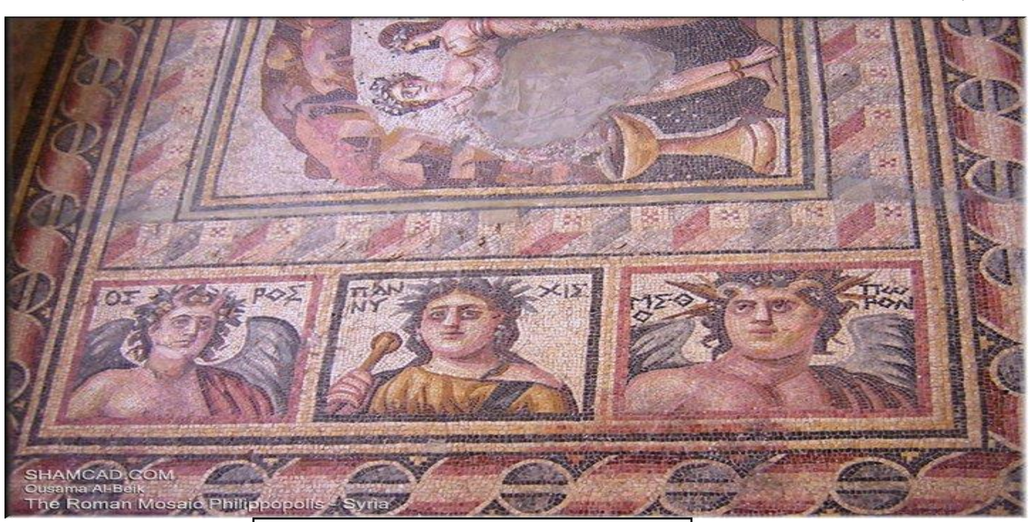
وضع استعراضي عارٍ في أعلاها ثلاثة مربعات يحتوي كل مربع على وجه إنسان، وفي أسفلها ثلاثة مربعات في كل منها وجه إنسان أيضاً.



الصورة لوحة النعم الثلاث ،والفصول الأربعة-متحف شهبا-القرن٣م

وفي لوحتنا هذه يظهرن عاريات ،الوسطى تدير ظهرها ،و الأخريتان وجهاهما ينظران إليها، وكأنهن يمارسن طقساً احتفالياً في معبد داخل مغارة في جبل الأولمب، وأمامهما مذبحان وترقد على كل منهما حمامة رمز الربة

هيرا، ثم نشاهد سحابة دخان مقوسة فوقهما وتنتهي على الجانبين مع المذبح، كما يتزين بحلى بأيديهن وأرجلهن غير أن الوسطى يلف صدرها زنار كوشاح، هذا المشهد صممه الفنان ضمن حقل متعدد، يحيط بالأولى مستطيل به أكثر من إطار بسيط مختلف الألوان الأصفر والأسود والأبيض، بعدها سنجد إطاراً مميزاً في شكل هندسي نادر الوجود في لوحات المنطقة وفي سورية على شكل معينات ومربعات متصلة ومتداخلة لتضفي جمالاً بعدياً يعطي إنارة بالألوان الرئيسة، وتنتهي بمكعبات على شكل صليب بلون أحمر. بعدها هناك إطار طويل من اللونين الأصفر والأسود كشريط يلف هذه اللوحة مع اللوحتين اليمنى واليسرى اللتين تمثلان الفصول الأربعة، إضافة إلى إطار وهو الأجمل يبدو كأسطواني ملفوف بالأحمر، تتقاسمه أشكال بيضوية بالأسود يتوسطها قاطع نصفي ولتصبح بمقياس ٢،٥٥×٣،٦٥سم أما اللوحتان الجانبيتان فتمثل كل منهما ربات الفصول على شكل ست سيدات محتشمات في شكل نصفي ومتناظر، ثلاث في اليمين ،وثلاث في اليسار، عرفت كل منهن من خلال لباسها ،ومظهر الرأس، وكتابة الاسم، منها صورة لشاب عاري الصدر يرمز للصيف،



الصورة تفاصيل لوحة الفصول الأربعة في شهبا

والثانية لفتاة كاشفة عن كتفها في الجانب الأيسر ترمز للخريف، والربيع ،وثالثة متدثرة رمز للشتاء وهكذا... ويمكن القول إنها ترقى أيضاً إلى زمن فيليب العربي أسوة بغيرها.

ولو قارنا هذه اللوحة مع غيرها من لوحات المنطقة لوجدناها تضاهي لوحة فسيفساء الآلهة جي والفصول الأربعة المكتشفة في أفاميا (في المتحف) بينما لوحة دافني/ جنوب انطاكية بـ٨كم (في متحف انطاكية) تشبهها أيضاً في تسعة مقاطع، وفي إنها تمثل مشاهد تمثيلية مسرحيات وأساطير في الوسط، وفي الجوانب الأربع– راجع كتابنا عن دافني انطاكية (قيد الإعداد)ولكنها في إطارات جذابة وساحرة أكثر، فيها إطار بلوري مشابه للذي في لوحة شهبا، ولكن هنا أغنى بألوانه وتموجاته، خاصة تلك التي تحيط بمربعات الفصول الأربعة، ولكنها بدون كتابات.

يمكن القول أن لوحة شهبا تتفوق على لوحة دافني التي أعادوها إلى القرن الثاني الميلادي،بينما لوحة شهبا أعادوها إلى عهد فيليب العربي.

**

وللفصول الأربعة آثار تمثلت في مدينة شحات في ليبيا، بما يسمى الفيلا الرومانية - لوحات فسيفساء

اكتشف في الخمس بليبيا في موقع فيلا سلين لوحة فسيفساء تمثل الفصول الأربعة..(الصورة)

.



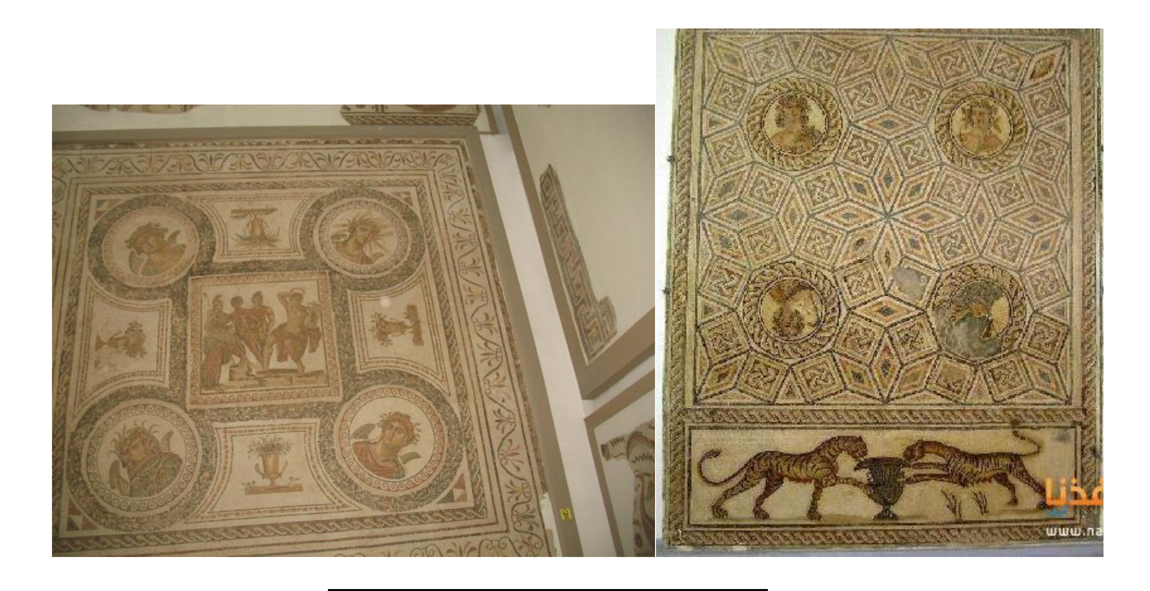
الصورة لوحة الفصول الأربعة-ليبيا مكتشفة في الخمس-متحف لبدة

وفي الجزائر في متحف تمقاد لوحة تمثل الفصول الأربعة

وكذلك في مدينة هبون (عنابة) في الجزائر لها يظهر الاله أيون ودولاب الفصول الأربعة

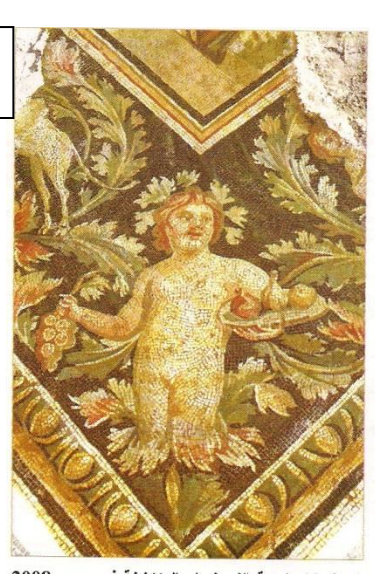
في قبرص في منزل ديونيسوس له لوحة تمثل الفصول الأربعة وأخرى لـ جي ، ولوحة تمثل أبولو ودافني في قبرص.

صوره في موقع فيلا سلين لوحة فسيفساء تمثل الفصول الأربعة، وكذلك في مدينة هبون (عنابة) في الجزائر لوحة يظهر الاله أيون ودولاب الفصول الأربعة.في تونس ،وفي متحف باردو لوحتان تمثلان الفصول الأربعة(الصورة)



الصورة لوحتان في متحف باردو –تونس –تمثلان الفصول الأربعة

اكتشف في سيروس شمال سورية لوحة تمثل الفصول الأربعة في أشكال بشرية(الصورة)



الصورة لوحة سيروس تمثل الفصول الأربعة-متحف حلب

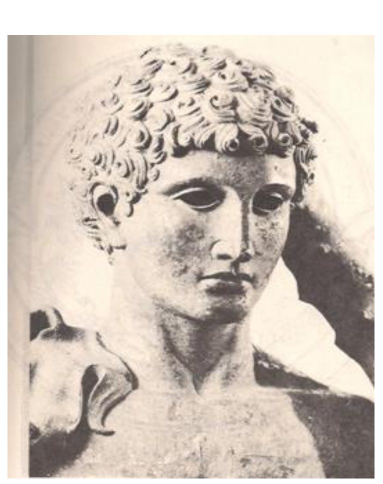
الفصل الرابع

فيليب العربي – ٢٠٤-٢٤٩م
Philippus Arabus (Marcus Julius philippus)
(حكمه ٢٤٤ – ٢٤٩م)

أولاً– تمهيد:

لقد جاء هذا الإمبراطور من الجنوب السوري ليعتلي أعلى منصب في روما، ويسمى باسم فيليب العربي ، وهذا وحده اعتراف بدور النفوذ العربي ، الذي تراجع كلياً في إقصاء الأسرة السوريه السفيرية قبل حكمه عام ٢٣٥م .

ولد في شهبا (كانت تسمى فيليبو بوليس) في محافظة السويداء قرب مدينة بصرى ، عام ٢٠٤م (أو ٢٠٠م) . نشأته الأولى غير معروفة ، غير أنه عاش بين قبائل عربية والتي عاد نفوذها بعد قضاء الرومان على دولة الأنباط في الجنوب عام ١٠٦م ، وحلت محلها عاصمة جديدة هي بصرى مشكلة ولاية عربية جديده . ذكروا أنه كان ابن شيخ عربي من جنوب سورية Trachonitica بعد مرسوم كاراكلا في منح الجنسيه ، حصل الكثير عليها حكماً ،دخل الجيش كونه



(الصورة) تمثال فيليب العربي متحف كاسل - المانيا

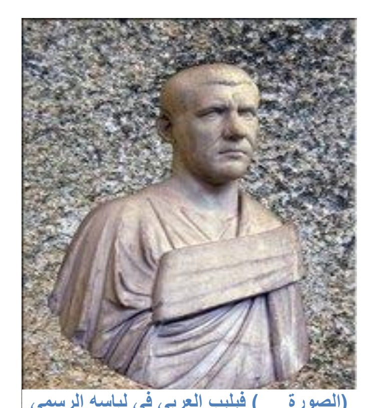
المجال الأرحب لطموح الشباب ، وأكدوا أنه كان من سكان بلاد العرب الأصليين ، وقد عين ليكون مراقب الحرس الإمبراطوري .. ويبدو أنه كان اسمه الحقيقي قبل التحاقه بالجيش الروماني(امرؤ القيس أو مرقس)، وأضاف إليه بعد ذلك عدة أسماء لتميزه عن سائر أباطرة روما وهي : ماركوس يوليوس فيليبوس . وقبل أن يترك الشرق منح بعض مدن المنطقة امتيازات ، فقد شيد في وطنه سوريه مدينة جديدة باسم فيليبوبوليس تخليداً لذكراها وأعطاها امتياز مستعمرة Colonia ،في حين أن بصرى منحت لقب المدينة المستوطنة Metropolis ،أما أنطاكيه فقد دعاها Metro colonia أي مستوطنة. لقد تطوع في الجيش الروماني ، وبرزت مواهبه العسكرية والقيادية في شكل يلفت النظر ، حتى أصبح أحد قواد الحرس الإمبراطوري في عهد الإمبراطور غورديان الأول عام ٢٣٨م، وقد ذكره المسعودي في كتابه التنبيه والإشراف تحت اسم غورديانوس، بعد وفاة قائد الحرس الامبراطوري بحث الامبراطور غورديان الثالث على قائد يتمتع بهذه الصفات وكان اختياره لـ فيليب العربي كقائد الحرس الامبراطوري بعد سلفه المتوفي. تشاء الظروف أن يكون الامبراطور غير حازم في أموره ، وضعف في خبرته العسكريه ..

ثانياً– توليه منصب الإمبراطور قبل دخوله روما:

في هذا الجو السائد عام ٢٤٤م والامبراطور غورديان الثالث يعد عدته للزحف نحو عاصمة الفرس (طيسفون) قرر جنوده الثورة بالقضاء عليه.

وكم هي الحركات المتكرره للجيش الامبراطوري بأن يثور أو يتدخل في شؤون الحكم ، أو في أن تسوء علاقته بمجلس الشيوخ في روما ..

ورد أنه نودي به إمبراطوراً في مدينة زيتا السورية التي تقع بين قرقيسيوم ودورا اوروبوس على الفرات .. الأخيرة معروفة اليوم باسم الصالحيه وقرقيسيوم ؟، وهل زيتا هي كفر زيتا في محافظة حماه المجاورة لأفاميا ، أرجح ذلك لأن أفاميا قد كانت أحد المواقع العسكرية الأهم ، وكذلك


(الصورة) فيليب العربي في لباسه الرسمي

كان هناك فرقه عسكرية قرب مصياف، تجمعوا ونادوا بـ فيليب العربي إمبراطوراً على عرش روما في آواخر شهر شباط عام ٢٤٤م ، ولكنه لم يقرر موافقته دون إعلام مجلس الشيوخ في روما ، وقد كان دبلوماسياً ذكياً في ذلك ، مدركاً لأبعاد الحكم الحقيقية ، فهو لا بد أن يحصل على الموافقة الشعبيه ، قبل العسكريه ، لذلك أرسل كتاباً مثيراً فيه احترامه وتقديره لقائده السابق مع صدق نواياه في التعامل مع مجلس الشيوخ كي يعترف به إمبراطوراً على عرش روما . وفي ذات الوقت لم يقبل بالتراجع عن قتال الفرس الساسانيين ، إضافة لإهتمامه بشؤون الجيش الروماني كانت خطوته موفقة ، فقد اعترف به مجلس الشيوخ إمبراطوراً ، مع أنه كان قد ضعف نفوذه قبل حكمه ...

لقد وقع معاهدة صلح مع شابور الأول ملك الفرس الساسانيين عام ٢٤٤م في شهر آذار ، ووجه له النقد اللاذع ، لتسرعه في هذا القرار ، ولعله بذلك أراد التفرغ لشؤون الحكم مجدداً ، وتأمين الجبهة الشرقيه في أمان وسلام.

لدى عودته من أنطاكية عاصمة سورية في شهر نيسان ، وكان عيد الفصح قائماً ، يحتفل المسيحيون به ليلاً ، فتقدم منه القديس بابولا (٢٥٠م) طالباً منه الجلوس في أحد مقاعد التائبين والموعوظين ، وهي جرأة قل مثيلها.

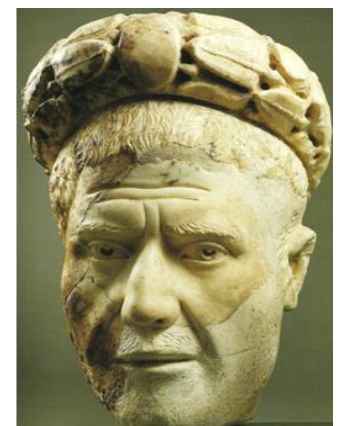
وفي أنطاكيه سكت دار النقود عملة باسمه على الوجه الأول صورة نصفيه له ويعلو رأسه تاج الاكليل الامبراطوري ، وتحيطه كتابة باسمه وألقابه ، وعلى الوجه الثاني كتابه ثبتت ذكرى الصلح مع الفرس بعبارة Pax Fundata Conpersis أسس الصلح مع الفرس. نقده بعضهم لإجراء الصلح معهم ، ولكنه رأى الصلح أهم من الحرب معهم ، كي يتفرغ لتثبيت سلطته ، ويدعم مركزه الأول في روما .. وهناك نقش يكرم فيكتوريا ريدوكس من قبل الإمبراطور فيليب قبل وصوله إلى روما، والأرجح هو وصل إلى روما في ٢٣ تموز عام ٢٤٤م . ومن المؤرخين الثقة ما أورده الراهب زوناراس .

لقد أشار زوناراس أولاً : إلى أن السلام مع شابور كان مسألة طويلة الأمد . وثانياً : أن فيليب كان في طريقة إلى روما من الشرق وتوقف ليقوم بعمليات عسكرية في ضواحي نهر الدانوب.

كما ذكر زوناراس بأن فيليب العربي قد سلم أرمينيا وبلاد ما بين النهرين إلى شابور الأور بشرط أن يسترجعهما بعد فترة قصيرة رغم السخط العام [١] .

أما زوسيموس فقد أشار إلى فيليب كقائد عسكري خاض حرباً شرقية مع الفرس ولم يتنازل عن أية منطقة للفرس في المعاهدة التي وقعها مع شابور الأول [٢] .

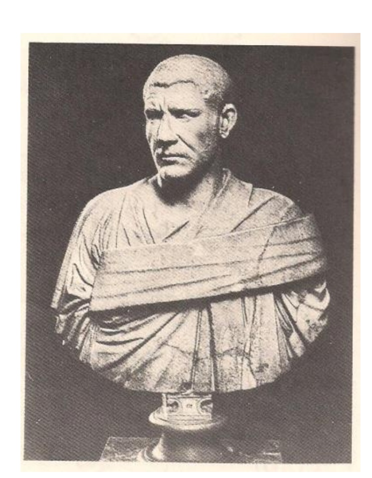
بعد هذا الإعتراف تابع فيليب العربي استعداده لقتال الفرس ، وبدأ القتال بين الطرفين ضارياً ، ولما شعر فيليب بأن الأوضاع مضطربة في كافة أنحاء الإمبراطورية ، ولا تسمح له باستمرار الحرب مع الفرس الساسانيين ، عقد الصلح معهم في عام ٢٤٤ م [٣] . هذا الصلح ملخصه أن يرفع الملك شابور الأول يده عن ولاية ما بين النهرين مقابل تنازل روما عن مصالحها في أرمينية الكبرى وأن تدفع له ٥٠٠٠٠٠ خمسمئة ألف دينار كغرامة حرب وفدية عن الأسرى الرومان الذين قبض عليهم الفرس [٤] .



(الصورة) رأس فيليب العربي متحف شهبا

وبعد أن اطمأن فيليب على أمن وسلامة الجبهة الشرقية للإمبراطورية الرومانية ، اتجه من ساحات القتال في حوض الفرات الأوسط بين دورايوروبوس ومدينة قرقيسيا إلى مدينة إنطاكية عاصمة سورية آنذاك في شهر نيسان عام ٢٤٤م ، ومن إنطاكية تابع رحلته بحراً إلى روما حيث استقبل فيها استقبالاً عظيماً من قبل مجلس الشيوخ والشعب الروماني [٥] .

ثالثاً- إمبراطوراً في روما: أمران أساسيان تنبه لهما فيليب، طالما كانا يواجهان أي إمبراطور في روما، أولاها مجلس الشيوخ، وثانيها قادة الجيش..



أ- مجلس الشيوخ : أشرنا إلى تراجع نفوذ هذا المجلس فأراد أن يعيد له مكانته المميزة ، وتفعيل صلاحياته في أن لا يكون له دوره في صنع القرار ، وبذلك يكون فيليب قد كان كسلفه السوريين الأباطرة ، أكثر إقتراباً من الشعب، وبذلك توسعت شعبيته ، ونال إحترام أعضاء المجلس ومن والاهم ، وهكذا

(الصورة) تمثال فيليب العربي

تحصلت الثقة بين القيصر والمجلس فمنحه ألقاباً تكريميه وهي:

Capicus , Maximus , Germancus , max

ب- الجيش : لم يكن كغيره جليس العرش ، بل كان مقداماً وشجاعاً ، فحين عرف بغزو القبائل البربرية الحدود في أوروبا الوسطى ، اندفع شخصياً ليقود جيشه ويصدها في عام ٢٤٥م و ٢٤٦م وظل يدافع حتى حقق الإنتصار.

وتحصل على لقب غازي الجرمان، ولقب غازي الكاربيين ، وفي روما أقيم له احتفالات تليق بنصره .

ينقده بعض مؤرخي الغرب أنه أوجد ضرائب ثقيله من أجل الجيش والتي كانت سبباً في سقوط الإمبراطورية الرومانية .

لقد كان أغلب الأباطرة شجعانا في مواجهة العدو ، ولكنهم كانوا خاضعين لسلطان جيوشهم ، أما فيليب العربي فقد سيطر على الجيش ، وأعاد الجند إلى النظام والانضباط .

لقد كانت حملات فيليب العربي التي شنها ضد قبائل الدانوب الأسفل ، ناجحتاً جداً أكسبته لقب جرمانيكوس مكسيموس Germanicus Maximus [٦] .

رابعاً- الاحتفال العام بمرور ألف سنه على تأسيس روما :

احتفالية عظمى تحققت في عهد فيليب العربي ، معلناً في ٢١ نيسان ٢٤٨م ذكرى تأسيس عاصمته روما . ولقد أشارد عدد من المؤرخين إلى أهمية تلك الأفراح الناتجة عن حسن إعداد أجمل الألعاب المختلفة [٧] ،وحفلات الرقص والموسيقى وصراع الحيوانات المختلفة التي ذكروا أعدادها بالتفصيل (عشرة أسود ، وعشرة نمور ، وعشرة ضباع ، وعشر زرافات ، وعشرة أفراس نهر ، وعشرين كركدن ، وعشرين فهداً ، وعشرين حماراً وحشياً ..) وغيرها من التفاصيل التي تحدث عنها المؤرخ (جوليوس كابيتولينوس) وأهميتها في ملعب (سيرك مكسيموس) .

وكان من أهم مظاهر تلك الاحتفالات المتميزة إحياء الألعاب الرياضية الكبرى ، التي كان من عادة قدماء الرومان إحياؤها كل مائة عام ، لأنها تثير الفرح والغبطة في نفوس مشاهدي تلك

الألعاب الرياضية التي أتيحت لهم فرصة مشاهدتها ، في حين أن غيرهم لم تتح لهم فرصة مشاهدتها ، لأن عمرهم لم يمتد بهم إلى وقت موعد الاحتفال بذكرى مرور ألف عام على تأسيس روما في عهد الإمبراطور فيليب العربي ، واعتبر المؤرخون أن هذا الاحتفال حدث تاريخي مميز [٨] .

لقد بهرت عظمة الاستعراضات والحفلات التي أقامها فيليب أعين الناس ، وانصرف الأتقياء الورعون إلى ممارسة الطقوس الخرافية ، بينما تدبرت القلة المذكورة في عقولها ماضي الإمبراطورية ومستقبلها [٩] .

خامساً– صفاته:

هناك وثيقه تنسب إلى الحكيم الأثيني (نيكاجوراس) تقول هذه الوثيقة : أما عن عدله ، فيكفي ما قد ذكرنا . فأي إحسان أعظم من إحسانه ؟ لقد كانت كل المقاطعات راسخة في أغلال من الخوف .

وكان من المستحيل أن يتحدث المرء بحرية حتى زال كل أثر لحرية القول ، إلى أن جاء فيليب العربي وخلص الناس من هذا الخوف ، وأعاد لهم حريتهم كاملة . إن هذه الوثيقة تصور لنا تحول فيليب العربي إلى سياسة الاصلاح الجديدة ، التي تخدم مصالح الشعب الروماني . كذلك لدينا وثيقة ثانية تتحدث عن الأوضاع الاجتماعية ، وهي موجهة من فلاحي بعض الأراضي في آسية الصغرى إلى فيليب العربي تقول الوثيقة ما يلي :

" بينما يحظى سائر الناس في أيام حكمك السعيد ، يا أكثر الملوك تقوى وبركة بحياة آمنة لا يكدر صفوها مكدر ، إذ قد انتهى الفساد ، وانقطع تماما الاستغلال ، وما زلنا وحدنا نعاني من المساوئ ، مما لا يتفق مع عهدكم السعيد ، لذا نرفع إلى مقامكم هذا الالتماس ، نحن فلاحو الأباطرة الأقدمين ، وبهذه الصفحة نلتجئ إلى جلالتكم ، فنحن نعاني الظلم وابتزاز الأموال من أولئك الذين من واجبهم أن يحموا الشعب ... هؤلاء نستخدمها في الحرث ، ويبتزون منا ما ليس من حقهم ... فنحن نرزح تحت ظلم وسلب لا مثيل لهما [١٠] . وفي وثيقة ثالثة يعود تاريخها إلى عام ٢٤٦م ، تتضمن عقد بيع وردت فيه الإشارة إلى الإعلان الذي أصدره حاكم مصر لتشيع الإقبال على شراء الأراضي ، حماية صغار الملاكين تنفيذاً لسياسة الإمبراطور فيليب العربي ، لاسيما في مصر وفي كافة أنحاء الإمبراطورية الرومانية [١١] .

يستنتج روستوفتزف من نص الوثيقة الموجهة إلى الإمبراطور ، أن ذلك الخطيب مدح الإمبراطور فيليب العربي بعدة أوصاف : (التقي) و (الوديع) و (الحكيم) و (العادل) و (القادر على ضبط نفسه) و (المحب للخير) .. [١٢] .

و نتساءل هل كان ديمقراطياً في بداية حكمه ليتواصل مع مجلس الشيوخ ، ويكون بذلك مخالفاً لمن سبقه من الأباطرة السوريين كـ سبطيم صفير ؟ أم هو يهيء لوراثة الحكم بابنه الذي أخذ يشركه في الحكم منذ كان يافعاً وسمي بـ فيليب الثاني ؟! وهل منحه له لقب قنصل وقيصر قليل ، ثم يتابع رفع شأنه في منحه لقب أوغست عام ٢٤٧م ؟! وكيف يتفق أن يسمى ابنه بـ (الإمبراطور) وهو صغير السن لم يبلغ الاثنتي عشرة سنة حين موته مع والده في معركة فيرونا الحاسمة عام ٢٤٩م . ولعل جان بابليون قد حكم عليه بأنه بدوي اعتلى العرش وكان من الطغاة الثلاثين ،و وراء هذا القول تنصيب ابنه القاصر . لم يكتف بتقريب ابنه أو السعي لتوريث حكمه إليه ، بل لجأ إلى أخيه يوليوس بريسكوس في توليته حكم بلاد ما بين النهرين ، ولم يكتف بذلك ، بل منحه صلاحيات أكثر في جعله حاكما على كل الولايات الشرقيه .

وأخيراً عينه بمنصب قائد الحرس الإمبراطوري !!! وكأنه بذلك يقلد ويتابع خطوات الأسرة السورية الحمصية ...

أما ول ديورانت فقد وصفه بقوله : " كان ثرياً مثقفاً مخلصاً لروما إخلاصاً خليفاً بالشرف الذي ناله في القصص القديم ، وقد وضع فيليب هذا في أثناء فترات السلم التي تخللت حرب القوط برنامجاً واسعاً ليعيد إلى روما دينها وأخلاقها ، وعاداتها الصالحة وأصدر أوامره بالقضاء على المسيحيه ... وشهد مقتل ابنه إلى جانبه .. وقتل هو في هزيمه" .

سادساً- زوجته وولده و والده:

كانت زوجته مارثيا اوتاسيلا سيفيرا قد تزوجها عام ٢٣٧م .. ولعلها قد تكون هي من سلالة الأسرة السورية السيفيرية الحمصية ؟!

أنجبت له ولداً باسم فيليب الثاني .وبعدما اعتلى زوجها فيليب العربي عرش الامبراطورية سكت دور السك مداليات ونقداً تزينها صورتها النصفية الجانبية اليمينية بملامحها الجميلة التي تعبر عن قوة شخصيتها، ويزين رأسها شعرها




(الصورة) نقد يمثل زوجته و الربة مينيرفا - (فيليبوبوليس)





(الصورة) الإمبراطور فيليب العربي و ابنه و الربة تيكة

الجميل الذي يتقدمه إكليل امبراطوري . كما سكت دور السك في عدد من الامبراطورية الرومانيه (ونخص بالذكر منها : دمشق ، وبعلبك ، ونابلس ، وفيليبوبوليس ، وبطوليمايبيس ..) نقوداً تزينها صورة الامبراطورة (مارثيا اوتاسيلا سيفيرا) ، تحيط بها كتابة تتضمن اسمها وألقابها الامبراطورية .. وعلى ظهر النقد صورة ميثولوجية حولها كتابة تتضمن اسم المدينة التي سكت تلك النقود ... وهكذا فقد زودتنا هذه النقود الأثرية بصوره الامبراطورية ، والمدن التي سكت نقوداً لها، كبلدته شهبا (فيليبوبوليس) يمثلها في تسريحة شعرها على شكل أكليل، والربة منيرفا جالسة، ونشير إلى نقول أخرى تظهر زوجته كإمبراطورة، وأخرى إلى ابنه، مما يؤكد على أنه يريد استعادة أمجاد الأسرة السيفيرية ثانيةً، وهو لم يكن



(الصورة) تمثال رأس فيليب الثاني

الإمبراطور فقط بل زوجته أيضاً مارثيا أوتاشيليا سيفيرا من يذكرنا بالإمبراطوريات "العربيات الأربعة من الأسرة السيفيرانية .

وبما أن سبب شهرتها كان على الخصوص إيمانها بالمسيحية ورسالة أريجين إليها ، كان أيضا قربها من جوليا ماميا . فإذا كانت جوليا ماميا على الأغلب مسيحية فإن مارشيا أوتاشيليا سيفيرا تكون كزوجة مسيحية بشكل كامل ، لذلك كانت مارشيا وفيليب يمثلان تقدما على جوليا ماميا والإسكندر في علاقتهم مع المسيحية . فقد رافقت مارشيا فيليب إلى روما ، وربما أضيفت إلى لائحة الإمبراطورات الأربعة من الأسرة السيفرانية التي أقامت في البلاط الإمبراطوري في روما نفسها" .





(الصورة) نقد يمثل فيليب الابن و الربة مينيرفا (فيليبوبوليس)

أما وضع والده برأي د. عبد الحميد حاج حمدان " أن فيليب العربي أمر بتأليه أبيه جوليوس مارينوس ورفعه إلى مرتبة الآلهة كعادة الرومان ، والدليل ميدالية تحمل ملامح رجل كهل جميل الصورة ، وتحيط به كتابة تتضمن عبارة مارينوس المؤله ، كما يوجد نسر كبير باسطا جناحيه يرفع صورة الأب يوليوس مارينوس إلى مصاف الأرباب ، وعلى ظهر الميداليه توجد صوره الربة (روما) تحيط بها عبارة المستعمرة فيليبوس بوليس "

سابعاً– هل كان فيليب مسيحياً ؟

ما هو موقف السوريين من الحضارة الرومانيه التي تفاعلت معهم وتفاعلوا معها في كافة الجوانب ، غير حالات استثنائية كـ تحدي الملكة زنوبيا لروما والامبراطور اورليان ... لكن الباحث الألماني (فرانتس التهايم) قد وضح موقفهم هذا بقوله : " وإذا كان السوريون قد وقفوا من هذه

الحضارة موقف التسامح الحكيم واعترفوا بها لمصالحهم ، فإنها الآن قد أصبحت في المركز المهيمن " . إختلفت الآراء حول موقفه من المسيحية ، وهل اعتنقها أم تغاضى عنها ولم يضطهدها ؟! وهي هو قد سبق قسطنطين في الإعتراف بالمسيحية أم لا ؟ بالطبع يعتبر المؤرخ أوسيبيوس المصدر الرئيسي المبكر الذي يشير موضحاً ومضمناً في خمسة مقاطع في التاريخ الكنسي إلى فيليب : فتعبر المقاطع الثلاثة الأولى عن مسيحية فيليب ، بينما المقطعين الباقيين يعبران ضمنياً عن ذلك . الأول يصف المشهد المشهور لعيد الفصح في أنطاكيه بتاريخ ١٣ نيسان عام ٢٤٤م ، وذلك عندما أراد الإمبراطور أن يشارك في إشعال شمعة العيد الضخمة ، إلا أن الأسقف منعه من المشاركة ، بسبب خطاياه ، إلا بعد اعترافه . أما الثاني فيتحدث عن رسالة من أوريجين Origen إلى فيليب وأخرى لزوجته مارشيا أوتاشيا أوتاشيليا سيفيرا . ويتحدث الثالث عن حملة اضطهاد ديقيوس التي أطلقها بسبب كراهيته لفيليب . والاثنتين الأخيرتين أخذتا من مراجع أسقف الإسكندرية ديونيسيوس Dinonysius (٢٤٧-٢٦٥م) إذ أخذت الرواية الأولى والتي تشير ضمنياً إلى حكم فيليب المتسامح مقارنة مع ديقيوس الذي أتى بعده ، وتتحدث الثانية ضمنياً بوضوح عن مسيحية سيفيروس وفيليب العلنية .

يعد المصدر الأول أشد وضوحاً كونه مفصلاً ، ولأنه لا يترك أي شك أبداً على مسيحية فيليب ، إضافة إلى مصادر أربعة أخرى غير منفصلة ثلاثة منها تتحدث عن معاصري فيليب ، أوريجين وديونيسيوس ، فتشهد ضمناً وصراحة على مسيحيته .

أجمع الكتاب اللاتين الثلاثة المهمين ; جيروم ، أوروسيوس ، فنسنت الليرني في حكمهم على مسيحية فيليب ، فانعكس هذا الحكم أيضاً بشكل قوي في استخدامهم للتعبير – أول – بأن فيليب كان أول إمبراطور روماني تبنى المسيحية . ولم يكن هؤلاء كتاباً متأخرين ؟ بل مبكرين عاشوا في الجزء الأخير من القرن الرابع والمبكر من القرن الخامس . وكان جيروم الأكثر أهمية بين الثلاثة : كونه كان الأقرب تاريخياً إلى المصدر الأساسي ، المؤرخ أوسيبيوس ، إضافة إلى كونه من ترجم " تاريخ " أوسيبيوس ، حيث تظهر روايته الصريحة عن مسيحية فيليب . وتعترف هذه الرواية بواحد من التفسيرين التاليين: إما أن جيروم وجدها في النسخة الإغريقية من تاريخ أوسيبيوس ، أو أنه وصل إليها بطريقة مستقلة على أسس من المصادر المتاحة له . وفي أي من الحالتين ، فإن الموضوع والتأكيد القوي والشهادة المهمة تؤكد مسيحية فيليب.

إن ثالث وآخر مجموعة من المصادر عن مسيحية فيليب تتمثل بالكاتبين جون كريسوستوم وأسقف أنطاكية ليونيشيوس عام ٣٥٠م . وكلاهما كانا كاتبين مبكرين رحلا بعد قرن فقط من فترة حكم فيليب ، والأكثر من هذا ، أنهما عاشا في أنطاكية نفسها ، التي شهدت إذلال فيليب وطلبه الغفران . وكان من الطبيعي أن يهتم كلا الكاتبين بأسقف وشهيد أنطاكية سانت بيبيلاس الذي منع فيليب من المشاركة في إشعال شمعة العيد أكثر من اهتمامهما بالإمبراطور نفسه . وهذه سوية مع حقيقة أن بابيلاس لم يُذكر .

إضافة إلى واقع آخر هو أن الكاتبين كانا أنطاكيين : كل هذا يعني أنهما أوضحا العادات المستقلة المؤسسة على الروايات المحلية التي كانت سائدة في أنطاكية نفسها – مشهد إذلال الإمبراطور – وليس على ما جاء به أوسيبيوس القيساري . وقد تكون هذه العادات الأنطاكية المحلية أكثر أهمية مما كتبه القيساري الذي اشتق روايته عن مسيحية فيليب اشتقاقاً ، إذ من الممكن أن تكون الروايات المحلية السائدة في أنطاكية شفهية في جزء منها ، إلا أن رواية أوسيبيوس أخذت بالكامل عن بعد ، إذ اطلع أوسيبيوس عليها من خلال وثائق مكتبته في قيسارية . وبذلك تشابكت روايات المنطقتين وتعاونت روايات المصدرين مع بعضها .

" ما زالت رسائل أوريجين الضائعة ، قد قرئت من قبل اثنين من رجال الكنيسة ، جيروم وفنسنت الليرني ، وكلاهما أشارا لهذه الرسائل ولمسيحية فيليب " .

ولقد أراد أوريجين برسالته التأثير على فيليب حين كان في الشرق وقبل عودته إلى روما عام ٢٤٤م ، خاصة حين علم أنه أصبح على رأس الدوله ، وهو في الأصل شرقي ولعله بذلك قد يتأثر برسالته . مع أنه حينها كان أسقف أنطاكيه ببيلاس وهو من منع فيليب من المشاركة في حفل الأسرار المقدسة ، فوجد أوريجين حينها استغلال المناسبة ليعترف أمام الكنيسة ، وحقاً كان موضوع الرسالة يدور حقاً حول الاعتراف وطلب الغفران من فيليب في انطاكية .

ومن المؤرخين الكنسيين زوسيموس في روايته عن حكم فيليب وعدائه له ، ولكن أن" يصبح عداء زوسيموس نحو فيليب أكثر قبولاً للتفسير عندما نتذكر أن فيليب بجل ، حسب التراث المسيحي ، كأول إمبراطور روماني مسيحي يتبنى المسيحية قبل قسطنطين . فآراء زوسيموس عن المسيحية كعامل انحطاط في التاريخ الروماني معروفة جيداً ، ولهذا بنيت مسيحية فيليب على قاعدة أساسية من العداء نحوه ، ومثلت لزوسيموس بالتالي رؤية لواحد كان بربرياً ومسيحياً بآن واحد ، ومع ذلك أصبح إمبراطوراً للعالم الروماني . وحتى تاريخه لم تظهر كلمة واحدة في التاريخ

الحديث تشير إلى مسيحية فيليب التي توجب أن تكون معروفة لزوسيموس من خلال التراث المسيحي الذي ذكرها . ويمكن الاستنتاج من خلال النظر إلى ما يكنه زوسيموس من عداء نحو فيليب والمسيحية ، إذ أنه تعجل بشجبه واتهامه كأول إمبراطور روماني مسيحي .

إن المفتاح لفهم إغفال وطمس أي شيء عن مسيحية فيليب يجب أن يرتبط بإغفال زوسيموس لحقيقة مهمة أخرى حول فيليب ، ألا وهي احتفال فيليب بالألعاب المدنية ".

ونختم الموقف بما وصل إليه عرفان شهيد بعد تحليل مسهب إلى القول :

" لقد كانت عبادة إله – الشمس في حمص – بالضبط – ديانة العرب الوثنية . فارتبطت بسمات أساسية كانت في مصلحة الأسرة السيفيرانية في الديانة ، وفي قضية إلاغابالوس لتنصيب إله – الشمس العربي في روما نفسها . فقد كان انتشار المسيحية في ولاية العربية مرتبطاً بسمات أساسية جاءت لصالح اعتناق فيليب العربي المسيحية . وكان ينظر إلى بلاد العرب كما صورتها روايات المؤرخين الكنسيين بأنها بلاد البدع المستمرة Arab haeresium fearax ، لكنها بالمقابل ، كانت أيضاً واحدة من الولايات التي شهدت إنتشار المسيحية المبكر . لذا ، ولأسباب جغرافية وأسباب أخرى ، كان عربها من ضمن من تحولوا إلى المسيحية مبكراً . لذلك ، يجب أن يعد فيليب أعظم شخصية عربية مشهورة في تاريخ روما الإمبراطوري . فإذا كان سيفيروس الإسكندر جزئياً عربياً وجزئياً مسيحياً ، فقد كان فيليب عربياً ومسيحياً بالكامل ، ولذا فقد كان يمثل كلا النصرين : المسيحي في أعلى درجاته ، والإرتقاء إلى مستوى القادة لابسي الأرواب الأرجوانية من علية القوم الذين لم يكونوا ينتمون إلى المؤسسة الرومانية ، بل قدموا من عالم المشرق السامي ; من ولاية / إقليم العربية ".

كما وصل الباحث بشير زهدي إلى القول " بأن فيليب العربي ولا ولده لم يؤلها لأنهما كانا قد اعتنقا النصرانيه ، ذلك أن فيليب العربي كان أول من أدخل النصرانية إلى روما ، وتسامح مع معتنقيها وقد أيد مسيحيته

(ارسابيوس القيصري و مارايرثيموس) وغيرهما .. ويقال إن أوريجين قد وجه رسائل إلى زوجته مارثيا أوتاسيلا سيفيرا ، ولقد انفرد المسعودي بذكره تحت اسم فيليبوس قيصر ملك ست سنين ودعي إلى دين النصرانيه فأجاب وترك ما كان عليه من مذاهب الصائبين ، تبعه على ذلك كثير من أهل مملكته ، فآل ذلك إلى تخربهم واختلاف كلمتهم في الديانة ، وكان فيمن

خالفه بطريرك من بطاركته يقال له داكيوس حكم ٢٤٩-٢٥١ فقتل فيليب واستولى على الملك .. " .

لقد اعتبر بعض آباء الكنيسة ومنهم القديس جيروم المشهور ، أن فيليب العربي كان أول إمبراطور مسيحي ، حرر المسيحيين من الظلم والاضطهاد وأعاد إليهم حريتهم واعتبارهم وأملاكهم ، بحيث لا ينسب لك فقط إلى الإمبراطور قسطنطين الأول الذي أتى بعد هذا الزمن بفترة طويلة .

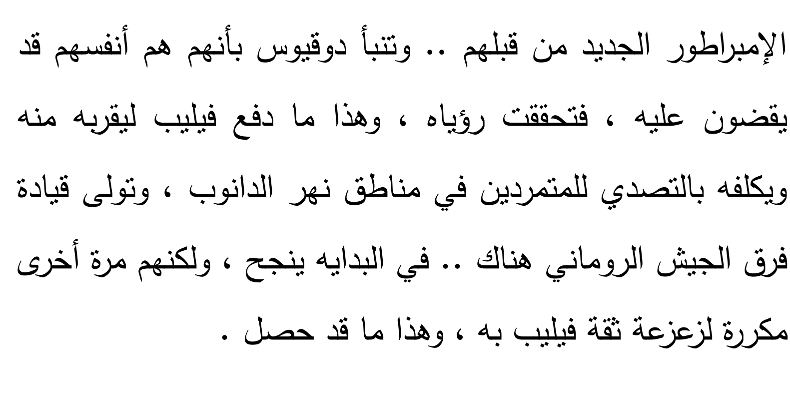
ورأينا الشخصي أنه إن لم يكن مسيحياً ، فإنه كان يتعاطف معهم أولاً – لأن أصل المسيحيه قد جاءت من بلاده الأصليه ، وثانياً – إن الرومان لم يكونوا معارضين للديانات الأخرى إلا إذا أثرت على معتقداتهم ..

ثامناً– أواخر حكمه :

تعرض حكمه لأكثر من فتنه – هكذا كانت عادة العسكر في معارضتهم للحاكم – بأن يصبوا جام غضبهم على قيادتهم وعلى رأسها الإمبراطور .

كانت الفيالق العسكرية الأهم في مناطق نهر الدانوب ، وهناك نادوا بإمبراطور جديد ، متعاونين حتى مع أعداء روما ، والقائد دوقيوس ندد بهذا السلوك الشائن ووقف أمام سلوك (مارينوس)





الإمبراطور الجديد من قبلهم .. وتنبأ دوقيوس بأنهم هم أنفسهم قد يقضون عليه ، فتحققت رؤياه ، وهذا ما دفع فيليب ليقربه منه ويكلفه بالتصدي للمتمردين في مناطق نهر الدانوب ، وتولى قيادة فرق الجيش الروماني هناك .. في البدايه ينجح ، ولكنهم مرة أخرى مكررة لزعزعة ثقة فيليب به ، وهذا ما قد حصل .

(الصورة) تمثال فيليب العربي في قصر السفير البلجيكي بروما

أدرك فيليب ببصيرته أن عليه التوجه بنفسه لقمع التمرد والقضاء على دوقيوس الإمبراطور الجديد في نظرهم ، وهي نفسها القصة التي حصلت معه يوم كان قائداً .

توجه وهو في أهبة استعداداته ، والتقى الخصمان في موقع قرب مدينة فيرونا الايطاليه .. طال أمد المعركة مدة شهرين من عام ٢٤٩م .. وأخيراً نفذ صبره واندفع يغامر بنفسه لدخول أتون المعركة والتي كانت حاسمة ، انتهت بموته وهزيمة جيشه .

"هل ترك مشهد الأباطرة العرب من ارتباطات إلاغابالوس الجيدة المتمثلة بجدته جوليا ميسا . عميقا على ماركوس يوليوس فيليبوس ، ولذلك ، توجب اعتبار الصعود إلى المنزلة الإمبراطورية الرفيعة التي وصل إليها السيفيرانيين عاملا مهما في ارتقاء فيليب نفسه . وليس واضحا فيما إذا كان سقوط الأسرة العربية الأخرى ; آخر أبجريي أديسا ، يعتبر أيضا عاملا من عوامل الصعود العربي في الدولة الرومانية . إلا أن من الجدير ملاحظته هو أن الشخصية المهمة التي تواطأ فيليب على قلتها لم تكن سوى غورديان الذي أسقط آخر ملك عربي في أديسا ، كان مثل فيليب عربياً ومسيحياً " .

لو أردنا تقيم مرحلته وإن كانت لا تقاس بمرحلة الأسرة السيفيرية، لكنها ذات مؤثر في استعادة قادة الشرق مكانتهم ثانيةً، وثقافتهم الشرقية– العروبية أيضاً، والتساؤل سيظل دائماً حول إنجازاته!

تاسعاً– انجازاته :

اهتم ببناء الدولة والمجتمع وحاول جهده إلغاء نظام العبوديه والسخرة ، والعفو عن المعتقلين السياسيين ، وعودة المنفيين .

لقد اتخذ العدل نبراساً له في التقيد بالأنظمة والقوانين ، اهتم بالزراعة كثيراً ، ساعياً لإيجاد موارد للخزينة العامة .

كما أشاد الكثير من الطرقات في أنحاء الإمبراطورية. وكما ذكرنا سابقا، فقد كانت العبادة السورية قد غزت روما وخامة إله الشمس الحمصي إيلا جبال ، ولعل هذا التأثير قد ظل مستمراً حتى بعد زوال نفوذ الاسرة السورية في روما قبل فيليب ، فالتأثير الديني ظل مستمراً.. ومن أشهر المعابد في سورية معبدا منبج (بامبيكة) وبعلبك (هليوبوليس) ، كونهما أكبر معبدين فيها اختصا بعبادات العالم الشرقي ، ولم تجرؤ السلطة الرومانية أن تمس لا كيانهما ولا ثرواتهما

وبقيا مقدسين عريقين يقيم فيهما المؤمنون طقوسهم التي تمسك بها الشعب تمسكا شديداً .. ويعتبر فيليب أحد المقيمين بهذين المعبدين إلى جانب من سبقوه كـ كاركلا..

وأما الباحث عرفان الشهيد فيؤكد " أن سبب قلة بصمات فيليب الحضاريه تعود إلى فترة حكمه القصيرة ، وهو ليس كسلفه سبطيم أو لاحقه المسيحي قسطنطين " . في عهده تم الاهتمام بالجنوب السوري – منطقة طفولته – في تنوع المعابد في القنوات (كاتانا) وشقا (شاكيناس) وصرخد (صلخد)، ولكن إنجازاته الأهم في بلدته فيليبو بوليس (شهبا) .

عاشراً– نقود سكت باسمه:

فيليب العربي – انطاكية

منبج



نقد يمثل فيليب العربي













(الصورة) نقد يمثل فيليب الأب و الربة مينيرفا (فيليبوبوليس)

صوره وتماثيله: أشرنا إلى صوره على النقود التي سكت باسمه منفرداً، أو مع زوجته وابنه.. ولكن هناك الكثير من تماثيله في سورية والعالم كرأسه الجميل من الرخام الأبيض بارتفاع ٢٤سم بشعر قصير جعد، ولحية كثيفة، وشاربان وأذنان لطيفتان وأنف قوي.. يزين تاجه إكليل من

أوراق نباتية، مع شكل بيضوي في الوسط ،ربما كان فيه حجراً ثميناً .اكتشف هذا التمثال في موقع الحمامات الكبرى في شهبا مع قاعدة للتمثال وقسم من كف تمثال له.

واما المتاحف في العالم ففيها الكثير من تماثيله ونقوده كتمثاله الكامل في قصر السفير البلجيكي في روما(الصورة) وفي هولندا (امستردام) وبرلين ومدن ألمانية أخرى وفي أزمير بتركيا ولينىنغراد (الأرميتاج) وفي لندن وفي اللوفر بباريس وفي أمريكا في عدة متاحف، وفي طرابلس بليبيا، وقد ألفوا كتباً خاصة بتماثيله في أنحاء العالم.

كما اكتشف لوحة فسيفساء في شهبا تمثل تمجيد الأرض وفيها صورة له.

الفصل السادس

العمق الفلسفي للفسيفساء

((تشير التنقيبات الأثرية في مختلف المواقع الأثرية ولاسيما أنطاكيا وأفاميا وتدمر وشهبا ومريامين وبصرى ودير العدس إلى ابتكارات فن الفسيفساء الذي تطور على الأرض السورية خلال قرون من الزمن ليؤرخ العهد الإسلامي لنقلة نوعية في هذا الفن تجلت في سلسلة طويلة من الأعمال الفسيفسائية الرائعة والتي استوحى كثير منها أفكاره من الثقافات العالمية المتنوعة.

ويشير الدكتور الباحث خليل المقداد في كتابه (الفسيفساء السورية والمعتقدات الدينية القديمة) إلى أن ((الاكتشافات الأثرية الحديثة قد شملت معظم المواقع الأثرية على امتداد سورية والتي تعرف بمواقع العصور الكلاسيكية وخاصة في الكنائس والأديرة والكاتدرائيات ما جعل من سورية حديثا أحد أهم الأقاليم وأكثرها غنى وثراء وازدهارا وأيضا إيثارا لدراسة الفسيفساء القديم.

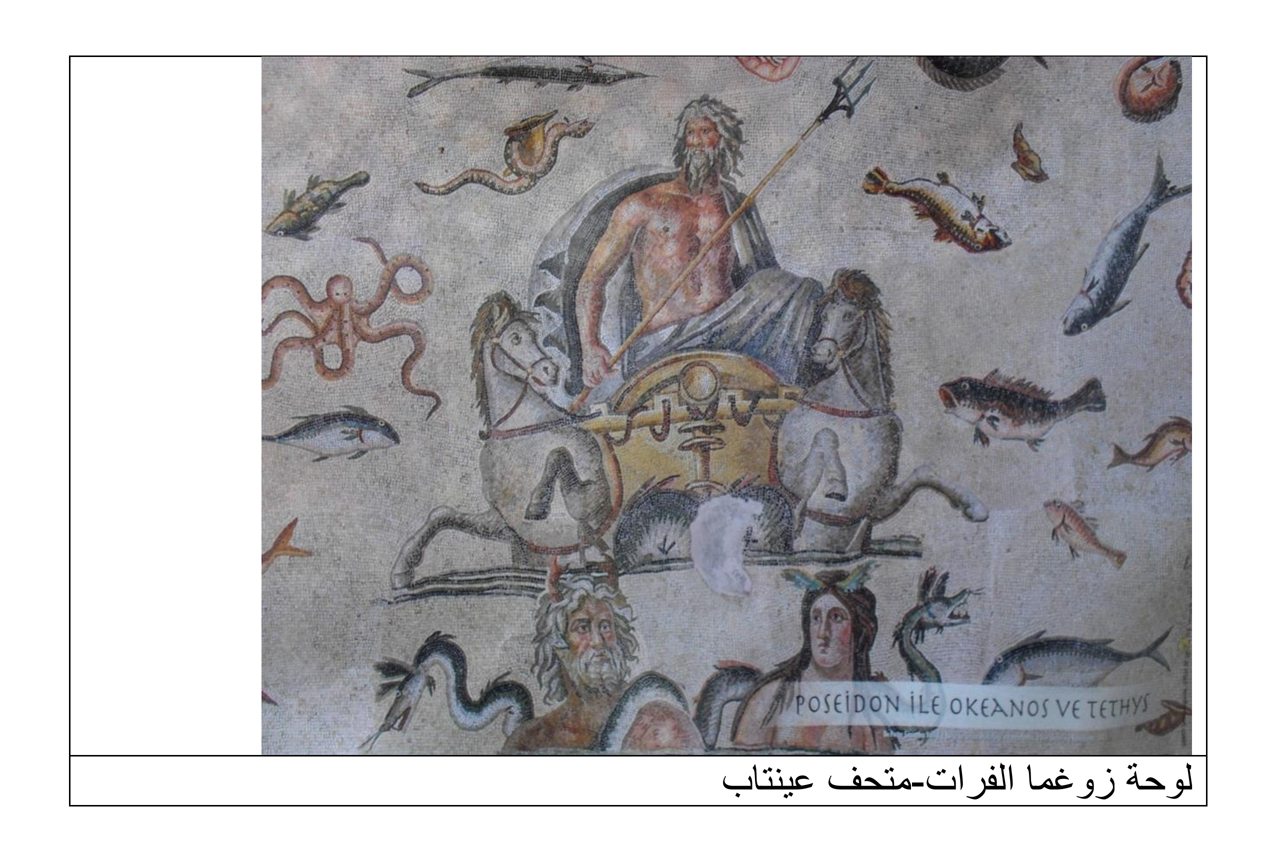
ويضيف الباحث أن الابتكارات الفسيفسائية منذ أصولها وحتى القرن الثالث بعد الميلاد ارتكزت على الميثيولوجيا الإغريقية والرومانية والشرقية من حيث الأفكار والألوان والنماذج والأساليب حيث أثبت الفنان السوري براعة استثنائية في تطوير هذا الفن ودفعه إلى الأمام باستعمال التدرج في اللون والضوء ورسم الصور والمشاهد التمثيلية والمسرحية في هذه الأعمال.

وكان للفنان السوري كذلك الريادة في تطبيق أسلوب التبدل في الحركة والذي حرر العمل الفسيفسائي من التعابير الجامدة عبر تراكيب ذات حدة حركية فعالة ونشاط ديناميكي عال كما قام بإغناء التعبير التزييني من خلال الذوق المتجدد والذي استخدم فيه الديكور المخضر وكثف من العناصر الهندسية الأصلية إلى جانب ما تلاه من إدخالات جديدة وفق ما تقتضيه كل مرحلة من أذواق فنية واجتماعية وعقائدية ما مهد لانطلاقة لامعة ومبدعة امتدت شيئا فشيئا لتشمل كامل أراضي الإمبراطورية والمدن السورية القديمة.

كذلك تؤكد الوثائق والدراسات التاريخية أن القرن الثاني الميلادي شكل محطة فارقة في تاريخ الفسيفساء السورية حيث شهدت سورية مرحلة ازدهار عمراني وفني كبير انعكس على هذا الفن وأدى إلى انتشاره واتساع رقعته في كافة المدن السورية كجزء من تطور حضاري يسجل التاريخ أن كل من كان موءثرا أو منفذا أو مبرمجا فيه كان سوريا أو ينتمي إلى جذور سورية بمن في ذلك الحكام والأباطرة والمهندسون والفنانون.

وتوضح المكتشفات الأثرية أن الفسيفساء السورية وبعد مرورها بسفر طويل من الانتقال والتحول اعتلت هرم هذا الفن لتصبح مصدر الهام وايحاء لكل فناني العالم ومبدعيه في هذا المجال مرتكزة على إرث محلي عريق تمت فيه ترجمة وتصوير المفاهيم والرؤى المختلفة في كل قطاعات الحياة وضمن صبغة حيوية اعتبر التجديد واحدا من أبرز سماتها كما تظهره مجموعة من الأعمال واللوحات الفسيفسائية الخالدة))
سنجد معظم اللوحات تتشابه في المضمون الأسطوري في زوغما الفرات وفي أنطاكية وأفاميا وشهبا.. مثل هذا الفرس البحري سنجده في لوحة زوجما/الفرات (متحف غازي عنتاب/تركيا) إله البحر يمسك مجدافاً وإلهة البحر، بينهما الفرس البحري أيضاً،هو يرفع رأسه بينهما وشكله مشابه للوحتنا في هذا البحث (الصورة) ولوحة انطاكية (متحف برنستون في نيوجيرسي) لوحة باسم جي والفصول

الأربعة من القرن الخامس الميلادي تمثلها كآلهة الأرض في الوسط وحولها صور الفصول الأربعة داخل مربع مؤطر بينهم رصفت الفسيفساء على أشكال هندسية متداخلة تعطي حركية قل نظيرها.كذلك في شهبا سنجد الفصول الأربعة ممثلة فيها...



لوحة زوغما الفرات-متحف عينتاب

وللفصول الأربعة آثار تمثلت في مدينة شحات في ليبيا، بما يسمى الفيلا الرومانية - لوحات فسيفساء(الصورة) وفي الجزائر في متحف تمقاد لوحة تمثل الفصول الأربعة في قبرص في منزل ديونيسوس له تمثل الفصول الأربعة وأخرى لـ جي ، ولوحة تمثل أبولو ودافني في قبرص.

اكتشف في الخمس بليبيا في موقع فيلا سلين لوحة فسيفساء تمثل الفصول الأربعة، صوره ر في موقع فيلا سلين لوحة فسيفساء تمثل الفصول الأربعة،وكذلك في مدينة هبون (عنابة) في الجزائر لها يظهر الاله أيون ودولاب الفصول الأربعة،وكذلك في مدينة هبون (عنابة) في الجزائر لها

يظهر الاله أيون ودولاب الفصول الأربعة. في قبرص في منزل ديونيسوس له لوحة تمثل الفصول الأربعة وأخرى لـ جي ، ولوحة تمثل أبولو ودافني في قبرص.

تمثل كل منها تشخيصاً لفصل من فصول السنة . وقد زود تشخيص كل فصل مما يلائمه من الصفات المميزة لفترة معينة من الدورة السنوية

وتزودنا أرضيات أخرى بأدلة ذات قيمة ثمينة بالغة على الاهتمام المتزايد في الشطر الأخير من عصر الإمبراطورية ؛ بالتجريدات الفلسفية وتصوير الآراء المجردة على هيئة شخصيات تمثلها ، ذلك أن أرضية تلفت النظر تحتوي على شكل معبود يحمل اسم أيون وهو عبارة عن صورة يتمثل فيها الزمن بمعناه المطلق ، وقد صحبه صور تمثل أزماناً أخرى هي الماضي والحاضر والمستقبل . وقد أصبح " أيون " معبوداً يرتبط بآراء عن الخليقة وحكم العالم ، وظل الفلاسفة يحاولون باستمرار تحديد طبيعة الزمن المطلق . وفي هذا ما يزودنا بلمحة عما كان يثير اهتمام الطبقات المستنيرة في أنطاكية ، فإن أمثال هذه الموضوعات كانت ولا ريب تدور حولها المناقشات في المآدب في المدينة ،ولعل النصب**التدمري في متحف أنطاكية** : هو قد يشير إلى تمازج هذه الثقافة ،وإمتداداتها..نقوم بتوضيحه..هو من الآجر الحواري كغيره ، لكن هذا يختلف عن المعلقة في الجدران ، هو لوحة في شكل حوض بداخله سبعة نساء خمسة كبار واثنتان واقفتان في الجانب ، اثنتان على كرسي وواحدة متكئة واثنتان جالستان ، الجميع يتدثرون برداء تدمري، وغطاء الرأس المعروف عندهن. في الوسط طاولة بمساند و فوقها ثلاثة كرات . الجميع وجوههن نحونا . المشهد يمثل طقساً دينياً ، أو وليمة ، يرقى إلى القرن ٣م . مكتشف في ...؟ وحسب تسجيله على إحدى السوابق مشتراة ؟ .هذا المفهوم قد تم عرضه في لوحات الفسيفساء فشهبا وغيرها...



النصبالتدمري في متحف أنطاكية

العروض التي توسطت هذه الأنماط الفسيفسائية كانت تنتمي إلى سلسلة طويلة من التقليد المتوارث، و المحاكاة التاريخية للرسوم التي كانت تنفذ على الأرضيات قبل التنفيذ ، و التي تم من خلالها تزيين الأرضيات و الجدران بديكورات زخرفية ، إلا أنها كانت تتركز بشكل جوهري في تزين السقوف و التي كانت تظهر على شكل تجاويف زخرفية،أو مكرنشات مقببة ،أو ذات حدود وأضلاع تتخللها القبوات ، وهذا ما توضح بشكل جيد في فيلا قسطنطين في مدينة أنطاكيا .
كما تكرر ذلك في مدينة تدمر (بالميرا) وشهبا (فيليبوبولس) وفي العديد من الأمثلة التي لا تحصى في سورية أو خارجها ، ونذكر بعضا منها و التي تعتبر الأشهر ، وعلى سبيل المثال لوحة التقويم السنوي التي تظهر تقسيم الأزمنة وحساب الأوقات و المنفذة في مدينة أنطاكيا ، ولوحة المأدبة في مدينة فيليبوبولس و لوحة محاكمة كاسيوبيا في مدينة تدمر .

-تعتبر هذه اللوحات من اهم المكتشفات في سورية من حيث النوعية والأصالة، والتي اعتبرت تعود إلى عهد فيليب العربي بين عام ٢٤٤-٢٤٩م في وقت تحويل مسقط رأسه إلى مستعمرة رومانية أسماها فيلبو بوليس أي مدينة فيليب وتؤكد (بالتي)في دراستها عن الفسيفساء على أن

ورشات الفسيفساء في شهبا قد ظلت تؤدي مهماتها إلى فترة ما بعد تأسيسها كمستعمرة.
ساعد هذا الموضوع في إبداع فني يكمن في تكبير اللوحة إلى أبعاد الغرفة كلها، مع بقائها جذابة وضخمة، وتبقى صورة تيتيس تذكرنا بشكل لائق وضخم بالبحر، حيث قدم المبدع القسطنطيني جلّ عبقريته، كما أعطى صناع الفسيفساء فرصة رائعة لمعرفة عملهم والاطلاع عليه. وتؤكد الباحثة (بالتي) قولها بأنها "ميالة للافتراض بأنه من حمص انطلقت الحركة التي رفعت أناساً من الشرق إلى المراتب العليا في السلطة ومنها تم تجنيد الفنانين والحرفيين المكلفين بتحميل المستعمرة الرومانية الحديثة فيليبوبوليس... وقد كشفت التنقيبات الجارية عن إتساع حملة تنظيم المدينة، والتي كان من بواعثها جذب المعماريين والفنانين من كل نوع إلى شهبا، بالإضافة إلى التقنيين المختصين بالزخرفة السكنية، وصانعي الفسيفساء على الأخص، وبدعوة من الامبراطور، استطاع أي من مناطق الامبراطورية المختلفة أن يكون من بين هؤلاء الصناع" ولم تمض غير سنوات حتى ازداد عدد النواب في مجلس الشيوخ من هذه المنطقة بشكل واضح، ولذلك فقد أصبح الطريق مفتوحاً أمام فيليب العربي، وليس عليه تبني النموذج السيفيري وتعتبر هذه اللوحات مقرونة بالحياة الاجتماعية والاقتصادية في المنطقة كاهتمامهم بآلهة الخصب (ديونيزيوس وآريان وبلوتس) التي تضمن لهم غزارة المحاصيل (بخاصة الكرمة والقمح) وتؤكد لوحة آيون فكرة الخلود هذه، وضمن إطار فلسفي أوسع، ولكن في طابعها الهلنستي وتحويلها العميق خلال الأعوام ٢٤٤-٢٤٩م.

يطرح تساؤل من أين أتت ورشات صنع لوحات الفسيفساء في شهبا؟ من مشاغل انطاكية أم حمص؟ يجيب عن هذا جانيني بالتي المختصة في فسيفساء الشمال السوري بالقول: إنها من حمص وأن من المنطقي إحضار الورشات من حمص نفسها بإحضاره الفنانين والصناع حين زين مدينة شهبا ،وهذا ما يفسر التشابه بين فسيفساء شهبا وتدمر ،في كثافة العناصر والميل إلى الحركة والتعبير الخيالي، والتضارب بين مساحات الظل والنور، والاستفادة من العناصر الشكلية الكلاسيكية، حيث تمت استعادة

بعضها من نماذج التمثال الكبير لبوزيدون وكاسيوبيا، مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية العدد ٤٢ العام ١٩٩٦م ص ٣٠٦ .

وفي رأي (بالتي) "تعتبر وضعية تجاور اللوحات المربعة أو المستطيلة عنصراً تزيينياً مميزاً في تغطية المساحات الطولية، ويمكن ذكر العديد من الأمثلة من إكساءات أرضيات انطاكية في منزل (مركب بسيشة) ومنزل (المائدة المخرمة) بـ المنسوب الأوسط كما أن استعمال المعينات للفصل بين اللوحات المختلفة موجود بكثرة في لوحات أنطاكية.

ملحق:

أصدر معرف سورية المركزي نقوداً ورقية فئة مئة ليرة سورية في عام١٤٣٠هـ/٢٠٠٩م تتضمن بوابة شهبا، كما أصدر نقوداً ورقية فئة مئة ليرة سورية في١٤١٩هـ/١٩٩٨م فيها صورة فيليب العربي...



العملة السورية وعليها أثار شهبا

الخاتمة

أشعر بالغبطة في إنني قد خرجت من(قوقعة تأريخ محافظة إدلب) في أوابدها وحولياتها إلى الجنوب السوري. هذا الطموح قد حققته في كتابنا هذا، رغم قلة الإمكانيات، وضعف الحيلة.. بذلنا جهدنا المتواضع في هذا الكتاب.. إن كان هناك(هفوات؟!) نأمل ليسعي غيرنا إلى تلا فيها.. وكل مجتهد له نصيب في الأجر

المراجع

مجلة الحوليات الأثرية السور ية العدد٢٥-٢٦ **والعدد٤٥-٤٦**

مجلة الحوليات الأثرية العربية السورية مجلد ٣٣/١ مقال لغالب عامر ..معرض المكتشفات الأثرية-دمشق-١٩٩٥م..المرأة عبر العصور-دمشق-١٩٩٧م..أرض الحضارات-دمشق..

.د.خالد كيوان:المسكوكات القديمة-دمشق٢٠١٠

د. خليل المقداد في كتابه الفسيفساء السورية والمعتقدات الدينية القديمة..

آثار بلاد الشام خلال العصور الكلاسيكية تأليف مأمون عبد الكريم

شهبا –غالب عامر –نشرة المديرية العامة للآثار –دمشق.

.بطلر في بعثته الأثرية إلى الجنوب ،والشمال السوري في مطلع القرن العشرين ..

قصة الفسيفساء السورية–د.خليل مقداد–دمشق وزارة الثقافة.

.آثار سورية القديمة–هورست كلينغل –دمشق ١٩٨٥م .

.د.مأمون عبد الكريم–الآثار الكلاسيكية في سورية..

المرأة عبر العصور –دمشق –المديرية العامة للآثار والمتاحف

سورية القديمة ،والوسطى(لوحات) تأليف رينية دوسو ،وغيره.باريس١٩٣١م بالفرنسية

جانين بالتي:الفسيفساء السورية بالفرنسية
وغيرها من المراجع العربية ،والأجنبية

الفهرس

**

صدر للمؤلف فايز قوصرة

١-الرحالة في محافظة إدلب الجزء الأول، حلب ١٩٨٥م.
٢-الرحالة في محافظة إدلب الجزء الثاني، حلب ١٩٨٨م.
٣-حصن شغر – بكاس (حطين الثانية).
٤-حارم دمشق الصغرى، ١٩٨٨ (نفد).وقد تم طبع نسخة جديدةالكترونياً،مع زيادات
٥-قلب لوزة درة الكنائس السورية ١٩٩٥م، وآخر بالانكليزية.
٦- من إبلا إلى إدلب، ٢٠٠٤م.

٧-ولاية الفوعة –حلب ٢٠٠٨ م تم إنجازه ثانيةpdf

٨-التاريخ الأثري للأوابد العربية الإسلامية في محافظة إدلب، دمشق، وزارة الثقافة ٢٠٠٦. (نفد).تم إنجازه ثانيةpdf

٩- الثورة العربية في الشمال السوري (ثورة إبراهيم هنانو)، دمشق، وزارة الثقافة، ٢٠٠٨م. (نفد). تم إنجازه ثانيةpdf

١٠- إدلب ... البلدة المنسية – دراسة تاريخية ميدانية. في ثلاثة مجلدات(منجزالأول في ٢٠١٩م) pdf منجز في ٢٠١٩م)

١١-الحلة السنية في الرحلة الشامية-رحلة محمد الكيالي ١٨١٦/ ١٨١٧م من تحقيقنا(منجز)pdf منجز في ٢٠١٩م)

١٢- أضواء جديدة في تاريخنا الأثري(دراسات في الحواضر السورية)pdf منجز في ٢٠١٩م)

١٣- شهبا في التاريخ الأثري(منجز) pdf منجز في ٢٠١٩م)

١٤-آثارنا في لوحات فوغويه (منجز)pdf في ٢٠١٩م)

١٥–جولة في متحف ادلب (منجز)pdf

١٦- جولة أثرية في جبل باريشا – محافظة ادلب (منجز).

١٧- جولة في متحف معرة النعمان (قيد الإخراج)

- وعي الزمن التاريخي-(منجز)pdf

خطاب إلى أبناء إدلب (كتيب)مطبوع و (منجز)pdf

وله قيد الإعداد :

من سلسلة الجولات:

جولة أثرية في جبل الأعلى – محافظة ادلب(قيد الإنجاز).

جولة أثرية في جبل الزاوية – محافظة إدلب (منجز).

جولة أثرية في جبل الحلقة وسهل الدانا- محافظة ادلب (منجز).

جولة أثرية في جبل الوسطاني - محافظة ادلب(قيد الإنجاز).

جولة في متحف أنطاكية(قيد الإخراج)

جولة في متحف أنطاكية(قيد الإخراج)

رحلة مع نهر بردى (قيد الإخراج)

رحلة تاريخية مع نهر العاصي(قيد الإخراج)

رحلة مع نهر قويق(قيد الإخراج)

عرب على عرش روما (قيد الإخراج)

إبلا في التاريخ الأثري(قيد الإخراج)

ملكات عربيات-(قيد الإخراج)

دافني في التاريخ الأثري(قيد الإخراج)

لقمان في وصاياه وحكمه (قيد الإخراج)

د ليل أسماء مدن ،وقرى محا فظة ادلب (قيد الإعداد)

مملكة أرواد الفينيقية (قيد الإخراج)

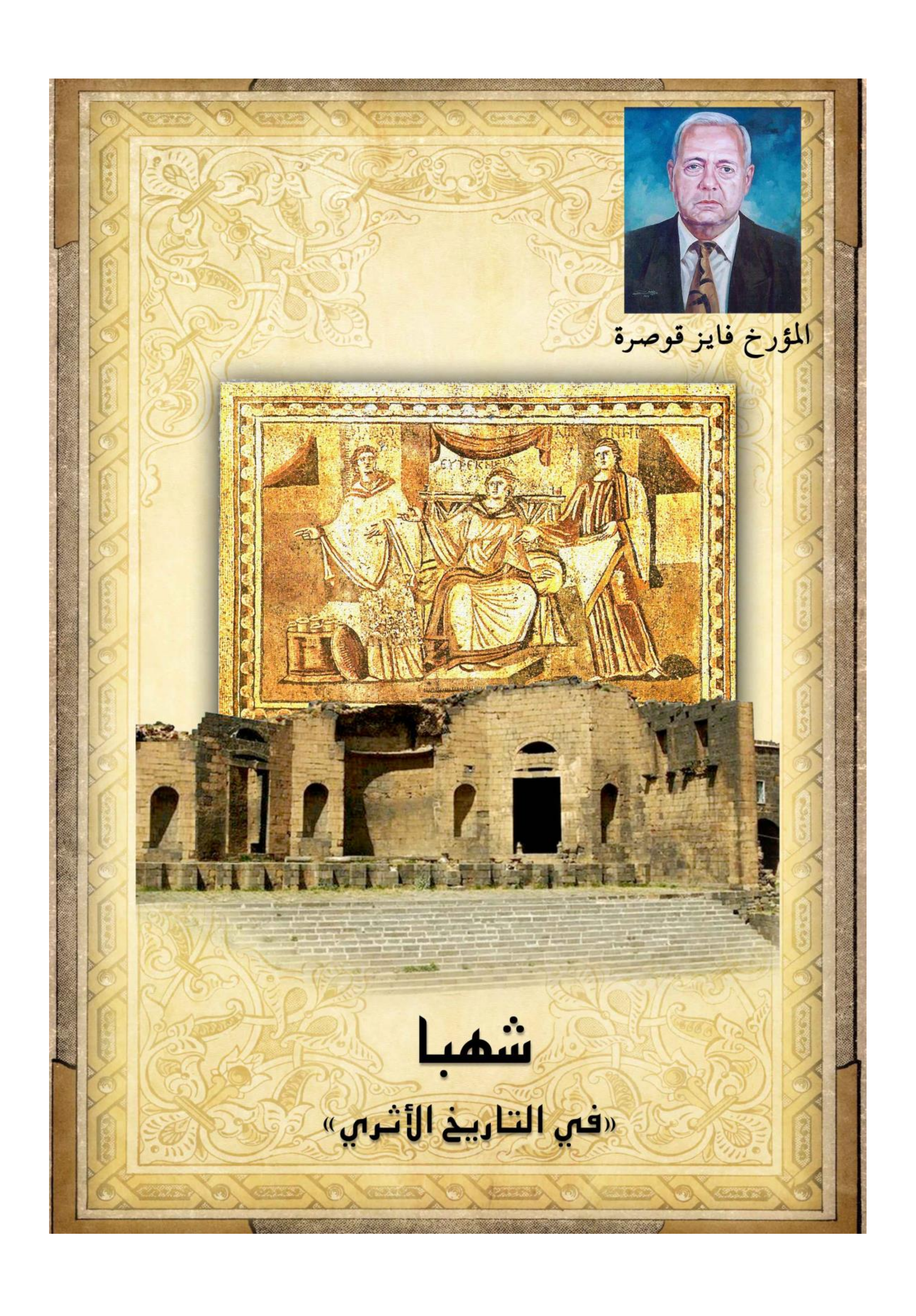
حواضر بلاد الشام في أقدم الصور(قيد الإعداد)

جولة في متحف أنطاكية(قيد الإخراج)

عجائب مريم ــــ تحقيق مخطوطة

صحائف سوداء،وبيضاء (مذكرات فايز قوصرة)

****


المؤرخ فايز قوصرة
شهبا
«في التاريخ الأثري»